لغز الحقيبة الدبلوماسية



محمود سالم

لغز الحقيبة الدبلوماسية

تأليف
محمود سالم



لغز الحقيبة الدبلوماسية

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩ ٢٤٨٧ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٤.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

اللص الثري

قرَّر «المغامرون الخمسة» زيارة المفتش «سامي» في مكتبه، وكانوا قد دخلوا السينما في حفلة الساعة العاشرة، وبعد خروجهم وجدوا أنفسهم يتجهون مشيًا على الأقدام من شارع «طلعت حرب» إلى مكتب المفتش في باب الخلق.

واستقبلهم المفتش مُرحِّبًا، وحضرت أكواب الليمون المثلَّج ... وجلس المفتش والأصدقاء يتحدَّثون ويضحكون ... فقالت «لوزة»: أليس هناك لغزٌ ولو صغيرًا نتسلَّى به؟

قال المفتش: ليس هناك ألغاز في هذه الأيام ... كل ما لدينا جرائم قاسية ... أو حوادث نشل عادية ... أو مشاجرات، أو اختلاسات، وكلها لا تدخل في اختصاص «المغامرين الخمسة»، أصحاب الذكاء والاستنتاجات.

ودخل في هذه اللحظة أحد ضبَّاط المباحث، وحيَّا المفتش باحترام، ثم وضع أمامه ملفًّا وقال: هذه نتيجة التحريات عن «فتحي الدهل».

عبثت أصابع المفتش لحظات بالملف، ثم قال: وهل هناك جديد؟

الضابط: لا جديد ... إلا أنه لأول مرة ذهب إلى صحراء «المعادي» مساء أمس في سيارة، وقضى بعض الوقت يدور بها ثم عاد.

صاحت «لوزة»: صحراء «المعادي»! ... إن هذا يدخل في اختصاصنا.

ابتسم المفتش، ثم قال موجِّهًا حديثه إلى الضابط: هؤلاء هم أصدقائي «المغامرون الخمسة» ... «توفيق» و«محب» و«نوسة» و«عاطف» و«لوزة».

ثم التفت إلى الأصدقاء قائلًا: وهذا النقيب «مجدي» من قوة المباحث الجنائية، وقد انضمَّ إلينا منذ أسبوع.

وتبادل الأصدقاء والضابط التحية، وقال المفتش «سامي»: لقد اشتركوا معي في حلِّ كثيرٍ من الألغاز الغامضة، وأعتقد أنهم عندما يكبرون سيُصبحون من خيرة العاملين في ميدان البحث الجنائي.

هزَّ الضابط الشاب رأسه ... وأحسَّ الأصدقاء أن هذه الهزة تعني أنه ليس مقتنعًا بهم ... عاد المفتش «سامي» يقول: هل أنت مقتنع بأنك بهذه المراقبة سوف تصل إلى المبلغ المسروق؟

مجدي: بالتأكيد ... إن الرجل خرج من السجن لا يملك شيئًا سوى بضعة جنيهات، ولم تمضِ ٢٤ ساعةً على خروجه حتى سكن شقةً فاخرةً في «الزمالك»، ولا يتحرَّك إلا وهو يركب سيارةً من أحدث طراز.

قال المفتش: سأقرأ الملف، وأرى التحريات التي قمتَ بها، وسوف أستدعيك بعد قليل.

كرَّر الضابط «مجدي» التحية، ثم انصرف، فقال «تختخ»: إذا لم يكن عندك مانع، فإننا نودُّ سماع القضية التي يعمل فيها النقيب «مجدي».

قال المفتش مبتسمًا: إنها قصة طويلة تعود إلى ثلاث سنوات مضت، ففي ليلةٍ من الليالي أخطرَتنا إحدى السفارات أن سيارةً من سيارات السفارة قد سُرقت ... وكان بها حقيبةٌ محشوَّةٌ بأوراق النقد الأجنبي والمصري قيمتها نحو ٣٦ ألفًا من الجنيهات، والأهم من النقود بعض أوراق السفارة البالغة السرية.

وأخذ المفتش يُقلِّب أوراق الملف، ثم مضى يقول: وقمنا فورًا بالإجراءات المعتادة ... البحث عن السيارة ... البحث عن المشتبه فيهم ... عمل كمائن في مختلِف أنحاء «القاهرة» ... وكان أول خيط أمسكناه هو اختفاء المنادي الذي يقف أمام السفارة لملاحظة السيارات، وهو الشخص نفسه الذي نُطارده الآن واسمه «فتحي الدهشان»، وشهرته «الدهل»، فشكله يوحي بالعبط والسذاجة.

وأمسك المفتش بصورةٍ في الملف وعرضها على الأصدقاء قائلًا: هذا هو «الدهل».

وتبادل الأصدقاء الصورة فيما بينهم، وقالت «نوسة»: إنه يبدو طيبًا فعلًا.

المفتش: كانت طيبته فيما يبدو قناعًا يُخفي خلفه حقيقته.

محب: وماذا حدث بعد ذلك؟

المفتش: علمنا في الليلة نفسها أن السيارة شوهدت في أماكن مختلفة؛ منها طريق الإسكندرية الزراعي، وطريق الإسكندرية الصحراوي، والفيوم الصحراوي، وكلها كانت مراقبة ... وعلى الكورنيش بين «القاهرة» و«المعادي» شوهدت سيارة تُشبه السيارة المسروقة وفيها ثلاثة أفراد، فأسرعت خلفها سيارة النجدة، ثم حدث شيء رهيب.

وصمت المفتش لحظات والأصدقاء ينظرون إليه في اهتمام وقال: كانت السيارة تسير بسرعة خارقة، وفجأةً انفجرت إحدى عجلاتها؛ فدارت حول نفسها واجتازت الكورنيش واندفعت منه وسقطت في النيل!

وتنهَّد المفتش، ثم أكمل حديثه قائلًا: غاصت السيارة في قاع النهر ... وكانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل ... وضاع وقت طويل قبل أن يصل رجال الضفادع البشرية لانتشال السيارة ومن فيها، واتضح أنها السيارة المسروقة فعلًا بعد استبدال أرقامها.

عاطف: وهل قبضتم على اللصوص؟

المفتش: غرق لصَّان، وقبضنا على الثالث وهو «فتحي الدهل».

تختخ: والمبلغ المسروق؟

المفتش: لم نعثر على الحقيبة مطلقًا.

تختخ: شيء عجيب!

المفتش: فعلًا ... وقد استجوبنا «الدهل» فقال إنه لا يعرف مصير الحقيبة وما فيها، وأنه لم يشترك في السرقة أصلًا.

محب: بمَ علَّل وجوده مع اللصَّين في السيارة؟

المفتش: قال إنهما اقتربا منه وهو يقود السيارة ليُبعدها عن الزحام، ثم فتحا الباب ودخلا، وتحت تهديد المسدس اضطُر لقيادتها. وإنهما كانا يبحثان عن مكانٍ يُخفيان فيه المبلغ، ثم يتخلَّصان من السيارة، ولكن وجوده معهما اضطرهما للبحث عن وسيلة للتخلُّص منه أولًا ... فقد كانا يخشيان أن يدل عليهما لأنه شاهدهما؛ لهذا قرَّرا التخلُّص منه، فضربه أحدهما بالمسدس على رأسه، ولم يُفق بعد ذلك إلا عندما سقطت السيارة في النهر ... ووجد نفسه يعوم في اتجاه الشاطئ حتى قُبض عليه ... هذا مُلخَّص القصة، ولكن هناك تفاصيل أخرى كثيرة.

لوزة: إنها قصة مثيرة فعلًا.

محب: وهل بحثتم عن الحقيبة في قاع النهر؟

المفتش: نعم ... بحثنا ثلاثة أيام متتالية ولم نعثر عليها، وبالطبع أدركنا أن اللصوص الثلاثة — ومنهم «الدهل» طبعًا — قد أخفَوا الحقيبة في مكان ما قبل أن يسقطوا في النهر ... وأن «الدهل» يعرف مكان الحقيبة، ولكنه رفض الاعتراف، حتى إذا ما خرج من السجن استولى على المبلغ وحده، وعاش حياةً رغدة.

نوسة: وأنتم تُطاردونه الآن؟

المفتش: نحن لا نُطارده، إننا نُراقبه فقط، وقد ثبت لنا صحة ما توقَّعناه؛ فبعد خروجه من السجن مباشرة، استأجر شقةً في «الزمالك»، لا تتناسب مع ما أخذه من السجن من مكافأة لا تصل إلى عشرين جنيهًا هي قيمة عمله داخل السجن.

ساد الصمت غرفة المفتش الواسعة … ثم دقَّ جرس التليفون، وانهمك المفتش في الحديث، في حين أخذ الأصدقاء ينظر بعضهم إلى بعض، وقد بدا عليهم جميعًا التفكير في المعلومات التي سمعوها من المفتش عن «الدهل».

وبعد أن انتهى المفتش من حديثه التليفوني التفت إلى الأصدقاء قائلًا: ما رأيكم؟

ردَّ «محب» مبتسمًا: رأيي أنه لص شديد الدهاء؛ لأنه استطاع أن يحتفظ بالسر لنفسه ثلاث سنوات، ثم خرج ليستمتع بهذا المبلغ الضخم وحده.

زَمَّ «تختخ» شفتَيه وقال: لو كان داهيةً يا «محب» لما كشف نفسه بهذه الطريقة، فلم يكد يخرج من السجن حتى أخرج المبلغ من المكان الذي أخفاه فيه وبدأ يُنفق ببذخ. ولو كان داهيةً حقًّا لعرف أن الشرطة تُراقبه، ولقد كشف نفسه بما فعل.

قالت «نوسة» موجِّهةً حديثها إلى المفتش: ألم تسألوه عن مصدر المال الذي ينفق منه؟

المفتش: لقد فضَّلنا أن نتركه يتصرَّف كما يشاء حتى لا يعرف أننا نُراقبه؛ فإنه إذا أحسَّ بالمراقبة أو إذا استجوبناه؛ فقد يختفي عن أعيننا إلى الأبد … ورجل معه مثل هذا المبلغ الضخم يمكنه أن يفعل الكثير.

لوزة: ولماذا لا تقبضون عليه؟

قال المفتش مبتسمًا: بأية تهمة؟ لقد حُوكم بتهمة السرقة، وقضى مدة العقوبة، وليس هناك سبب الآن للقبض عليه.

لوزة: إذن ماذا نفعل نحن؟

ابتسم المفتش مرةً أخرى وقال: لن تفعلوا شيئًا طبعًا … إن المهمة خارج حدود اختصاصكم.

لوزة: إلا إذا حضر إلى «المعادي».

المفتش: إذا حضر إلى «المعادي» ففي إمكانكم مراقبته، ولعلكم تعرفون مكان النقود المختفية.

وانتهى الأصدقاء من شرب عصير الليمون المثلَّج، ثم استأذنوا المفتش في الانصراف، وبينما كان يُودِّعهم عند الباب قال «تختخ»: هل نستطيع الحصول على نسخة من صور «الدهل»؟

المفتش: ممكن طبعًا.

وعاد المفتش إلى مكتبه وخلفه «تختخ» الذي قال: أليس هناك أشياء غريبة في سلوك هذا الرجل؟

المفتش: كما قلتُ لكَ إنه يعيش في مستوًى مرتفع جدًّا، وليس هناك من تعليل لهذه الحقيقة إلا أنه يُنفق من النقود المسروقة ... على كل حال إنني لم أقرأ الملف بعد، فإذا قرأته ووجدتُ شيئًا ملفتًا للنظر فيه فسوف أخبرك ... ولكن لماذا هذا الاهتمام بـ «الدهل»؟ إن مراقبته مسألة صعبة عليكم، ورجالنا يعرفون كيف يُراقبونه جيدًا.

سكت «تختخ» لحظات، ثم قال: معذرة إذا قلت لكَ إن نظرة النقيب «مجدي» لنا لم تعجبني ... فمن الواضح أنه استهتر بمجموعة «الأطفال الخمسة»، ولم يُصدِّق أن في إمكاننا أن نفعل أي شيء ... وأود أن أُثبت له العكس.

قال المفتش ضاحكًا: لا تهتم بمثل هذه الأمور. إن «مجدي» منذ تخرَّج في كلية الشرطة وهو يعمل في الصعيد، ولعله لم يسمع عنكم.

قال «تختخ» في إصرار: سنجعله يسمع عنَّا قريبًا ... إذا لم يكن في موضوع «الدهل» فسوف يكون في موضوع آخر.

وأسرع «تختخ» يلحق بالأصدقاء، وسرعان ما كانوا في طريقهم إلى محطة «باب اللوق»، حيث استقلوا القطار إلى «المعادي» ... واتفقوا كالمعتاد أن يلتقوا في المساء في حديقة منزل «عاطف».

وعندما وصل «تختخ» إلى منزله، جلس في غرفته وأخرج صورة اللص الثرى ... «فتحي الدهشان» الشهير بـ «الدهل»، وأخذ يتأمَّلها، ثم وضعها في دفتر مذكراته بعد أن كتب المعلومات التي سمعها من المفتش، ورفع سمَّاعة التليفون وطلب صديقه الصحفي «علاء الوكيل» رئيس قسم الحوادث في جريدة الجمهورية. وعندما ردَّ «علاء» تبادلا التحية، ثم قال «تختخ»: إنني أسألك بـ هل تتذكَّر قضية اللص «الدهل»؟

صمت «علاء» لحظات، ثم قال: الذي اشترك في سرقة سيارة السفارة؟

تختخ: بالضبط ... هل لكَ ملاحظات على هذه القصة؟

علاء: الحقيقة أني لا أذكر التفاصيل ... فكما تعرف نحن نكتب كل يوم عشرات الحوادث، ومن الصعب أن أتذكر القصة كاملة، وبخاصةٍ أن هذه القضية لم يكن فيها مفاجآت برغم ضخامة المبلغ المسروق.

تختخ: أليست مسألةً عجيبةً ألَّا يعثروا على الحقيبة وبها هذا المبلغ الضخم حتى الآن؟

علاء: على كل حالٍ تعالَ إلى الجريدة وسوف أُخرج لكَ ملف المعلومات والصور الخاصين بالقضية لتطلع عليهما.

تختخ: هل السادسة مساءً مناسبة لك؟

علاء: فلتكن السابعة.

تختخ: اتفقنا ... وإلى اللقاء ...

اعتذر «تختخ» عن موعد المساء مع الأصدقاء، ثم ذهب إلى الجريدة، وفي الدور الثالث حيث يقع قسم الحوادث، استقبله «علاء» مُرحِّبًا، وكان قد أعدَّ له ملف المعلومات وملف الصور الخاصين بالقضية ... وزجاجة كوكاكولا مثلجة.

فتح «تختخ» الملف ... كان حافلًا بقصاصات الصحف التي تناولت القضية، فأخذ يقرؤها ورقةً ورقة، وعندما انتهى من قراءة ملف المعلومات، أمسك بملف الصور وأخذ يتأمَّل صور اللصوص الثلاثة ... والسيارة المهشَّمة ... تأمَّلها طويلًا جدًّا وهزَّ رأسه، ثم قام واقفًا وشكر «علاء» الذي قال له ضاحكًا: أظن أن القضية واضحة وليس فيها ألغاز.

قال «تختخ» وهو ينظر بعيدًا: لا أدري ... ولكن ...

وصمت «تختخ» ولم يُكمل جملته، ثم غادر دار الجريدة في طريقه إلى «المعادي».

ملاحظات وآراء

قضى «تختخ» بعض الوقت يُعيد قراءة المعلومات التي حصل عليها من الجريدة ويرتبها، ثم نام. وفي صباح اليوم التالي التقى بالأصدقاء في حديقة منزل «عاطف»، وجلس «تختخ» وتحت قدمَيه «زنجر»، وأخرج من جيبه دفتر مذكراته الصغير، ثم قال: لقد حصلتُ على القصة الكاملة كما نشرتْها الجرائد ... استنادًا إلى محاضر تحقيق الشرطة والنيابة، وحُكم المحكمة.

نوسة: قضية «الدهل»؟

تختخ: طبعًا.

نوسة: ولكن ما دخل كل هذا بمكان الحقيبة التي بها الأوراق والنقود.

تختخ: في اعتقادي إن حصولنا على صورة كاملة لعملية السرقة، وما تمَّ حولها من تحقيقات، تُعطينا فرصة البحث عن الحقيبة بطريقة أفضل من مجرَّد مراقبة «الدهل».

عاطف: هل تتصوَّر أن أحداثًا جرت منذ ثلاث سنوات، يمكن أن تدل على مكان الحقيبة الآن؟

قال «تختخ» في ضيق: نعم ... هذا ما أتصوَّره ... هل هناك أسئلة أخرى قبل أن أبدأ؟

سكت الأصدقاء، فقال «تختخ»: سنتصوَّر ما حدث: «فتحي الدهشان» — وشهرته «فتحي الدهل» — منادي سيارات، اعتاد الوقوف أمام إحدى السفارات لتنظيم دخول السيارات وخروجها مقابل «البقشيش». وذات ليلة أقامت السفارة حفلةً كبرى فازدحمت أمامها السيارات ... وقرب الساعة التاسعة ليلًا، وبالتحديد في الساعة الثامنة وأربعين دقيقة كما قال موظَّف السفارة ... حضرت سيارة دبلوماسية من طراز مرسيدس «٢٨٠ إس» تحمل رقم «٥٤٤٨» ويركبها المستر «ماكس»، ووجد المستر «ماكس» المكان المخصَّص للسيارات مزدحمًا ... فتوقَّف وطلب من المنادي وهو يعرفه أن يضع السيارة بعيدًا عن

الزحام؛ لأنه سيذهب لمقابلة السفير ويعود فورًا ... وطلب منه أن يُراقب السيارة لأن بها أشياء على جانب كبير من الأهمية.

وقلب «تختخ» صفحةً من دفتر مذكراته، ثم مضى يقول: وركب المنادي السيارة وأدارها لإبعادها ... وفي هذه اللحظة فُتح بابا السيارة الخلفيان وركب شخصان، وعندما نظر «الدهل» إليهما وجد مسدَّسًا مصوَّبًا إليه من أحدهما، الذي طلب منه أن ينطلق بالسيارة فورًا دون كلمة واحدة.

سأل «محب»: هل تأكَّد رجال الشرطة من هذه المعلومات؟

تختخ: لا ... إن هذه المعلومات بناءً على أقوال «الدهل».

لوزة: هذا يعني أن مستر «ماك» ...

تختخ: «ماكس».

لوزة: إن مستر «ماكس»، ترك مفاتيح السيارة بها!

تختخ: بالضبط ... وهكذا تحت تهديد المسدَّس انطلق «الدهل» بالسيارة، وخرج مستر «ماكس» بعد مقابلته للسفير يبحث عن سيارته فلم يجدها ... وظنَّ أن المنادي أوقفها في مكان أبعد ممَّا ينتظر، فأخذ يبحث هنا وهناك، فلمَّا تأكَّد من عدم وجودها أسرع بإبلاغ جهات الأمن المختصة، وبدأت مطاردة السيارة حتى سقطت في النهر وتمَّ انتشالها، واتضح أنها هي فعلًا السيارة المسروقة، ولكن بعد استبدال أرقامها السياسية بأرقام أخرى عادية.

محب: ولكن قصة «الدهل» يمكن تصديقها ... فلماذا حوكم وأُدين وسجن؟

تختخ: سؤال معقول ... لولا عدة شواهد تُؤيِّد علاقته باللصَّين الآخرَين؛ أولًا: أنه لم يكن هناك شهود يُؤيِّدون قصته مطلقًا ... ثانيًا: وُجد في جيبه عندما خرج من النهر مبلغ ٥٠٠ جنيه لم يستطِع تعليل مصدرها ... كما وُجد في جيبٍ آخر ورقة صغيرة عليها الأرقام الشفرية الخاصة بفتح الحقيبة ... لأن «الحقيبة الدبلوماسية» عادةً تُغلق بأرقام شفرية لا يعرفها سوى حامل الحقيبة والسفارة، أو الدولة المسافرة إليها.

لوزة: كانت حقيبةً دبلوماسيةً إذن؟

تختخ: نعم.

لوزة: يا له من شيء مثير!

نوسة: هل كان المستر «ماكس» مسافرًا بها أو كان سيُسلِّمها إلى شخص آخر؟

تختخ: كان مسافرًا في العاشرة على الطائرة المتجهة إلى «أثينا»، ثم تذكَّر شيئًا مهمًّا لا بد من مناقشته مع السفير، فمرَّ بالسفارة أولًا، ولم يكن يتوقَّع أن يحدث ما حدث؛ فقد

كان يثق في «الدهل» جدًّا … وكثيرًا ما كان يترك له سيارته ليضعها في مكانٍ خالٍ حتى لا يُضيع وقتًا في ذلك.

عاطف: وهل اعترف «الدهل» بذلك؟

تختخ: نعم … وقال إنه كان يتولَّى دائمًا أمر سيارة مستر «ماكس»، وبخاصةٍ في الأسابيع الأخيرة التي كان «ماكس» يُسافر فيها كثيرًا، وكان دائمًا على عجلة من أمره …

نوسة: وهل كان «الدهل» يقود السيارة في أثناء وقوع السيارة في النهر؟

تختخ: حسب روايته كان مغمًى عليه، وكان أحد اللصَّين الآخرَين هو الذي يقود السيارة. وصمت الأصدقاء قليلًا، وقال «تختخ»: هل هناك أسئلة أخرى؟

وقبل أن يُجيب أحدٌ خرجت الشغَّالة تحمل جهاز التليفون وقالت: تليفون للأستاذ «توفيق».

كان المتحدِّث هو المفتش «سامي» الذي قال لـ «تختخ»: هل تُتابعون قضية «الدهل»؟

تختخ: نعم … وقد ذهبت إلى صديقي الصحفي «علاء» وحصلت منه على كل ما يتعلَّق بالقضية … والحقيقة أن هناك أسئلةً كثيرةً تدور في ذهني … ربما استطعنا من خلال الإجابة عنها أن نُحدِّد مكان الحقيبة.

قال المفتش ضاحكًا: بدلًا من الأسئلة والأجوبة أعتقد أن مراقبة «الدهل» أفضل؛ فهو إن عاجلًا أو آجلًا سوف يذهب إلى المكان الذي أخفى فيه الحقيبة وسوف يجدنا خلفه.

تختخ: هذا هو رأي الأصدقاء هنا.

المفتش: لقد طلبتَ أن تعرف بعض المعلومات عن عادات «الدهل»، العادات الغريبة أو الملفتة للنظر … وقاد قرأتُ الملف ووجدتُ بعض الأشياء الخاصة التي تُهمك …

تختخ: إن هذا يُسعدني جدًّا.

المفتش: اسمع … أولًا: إنه يُحب حياة البساطة بشكل غريب … فهو كثيرًا ما يُغادر شقته الفاخرة في «الزمالك» في ثياب بسيطة ويذهب إلى الأماكن الشعبية مثل؛ باب الشعرية، السيدة زينب، الحسين، حيث يقضي الوقت على المقاهي الصغيرة يشرب الشاي، ويلعب الطاولة.

وضحك المفتش وهو يُضيف: شيء آخر … أو هواية أخرى لـ «الدهل»؛ إنه اشترى قاربًا صغيرًا في النيل، وأصبح يصطاد السمك بسنارة.

سأل «تختخ»: وأين القارب؟

المفتش: سيُسعدك طبعًا أن تعلم أنه في «المعادي».

تختخ: أَلَا يوحي هذا لكَ بشيءٍ يا سيادة المفتش؟

المفتش: طبعًا ... إن القارب قريب جدًّا من مكان الحادث، والأهم من هذا أنه يذهب إلى مكان الحادث كثيرًا.

تختخ: يبدو أنه سيقع في المصيدة قريبًا.

المفتش: هذا ما يعتقده النقيب «مجدي»؛ فهو صاحب هذه التحريات كلها.

تختخ: متى أرى سيادتك لأناقش معك بعض الأسئلة التي خطرت لي وأنا أُراجع المعلومات الخاصة بالقضية.

المفتش: الحقيقة أنك لن تراني قريبًا ... فسوف أُسافر إلى «بيروت» بعد ساعتَين، ولا أدري متى أعود ... ربما بعد أسبوع.

قال «تختخ»: آسف ... أسبوع كامل! ... إنه وقت طويل!

المفتش: على كل حال يمكنكم الاتصال بالضابط «مجدي».

تختخ: وما هو رقم القارب؟

المفتش: رقمه «١٤١»، وقد سمَّاه «الدهل» اسمًا غريبًا ... سمَّاه «مظلوم».

تختخ: لعله يُشير إلى نفسه.

المفتش: فعلًا ... فأغلب اللصوص يعتقدون أنهم مظلومون، وأنهم ضحايا الظروف، وربما ضحايا العدالة.

تختخ: شكرًا لك يا سيدي وإلى اللقاء.

المفتش: إلى اللقاء ... وبالتوفيق يا «توفيق» أنت وبقية المغامرين.

ووضع «تختخ» السماعة، ثم التفت إلى الأصدقاء قائلًا: لقد وصلَت الحكاية إلى حافة أبوابنا.

لوزة: كيف؟

تختخ: اشترى «الدهل» قاربًا سمَّاه «مظلوم»، وهو يتجوَّل به عند شاطئ «المعادي»، وبخاصةٍ في مكان الحادث.

صفَّقت «لوزة» بيدَيها قائلة: عظيم هايل! ... لقد وصلنا للغز، هيا بنا.

عاطف: إلى أين؟

لوزة: إلى الشاطئ طبعًا للمراقبة ... إنها فرصة.

تختخ: لحظة واحدة يا «لوزة» ... لا بد أن يكون عملنا حسب خطة.

نوسة: وما هي الخطة؟

تختخ: لم أضَع تفاصيلها بعد ... سأروي لكم أولًا ما قاله لي المفتش «سامي» عن نتائج مراقبة «الدهل».

واستمع الأصدقاء إلى حديث «تختخ» ... ثم بدءوا يُناقشون الخطة التي يجب وضعها لمراقبة «الدهل».

وقال «محب» معلِّقًا: يجب أن نكون على حذر ... فالمفتش «سامي» يُريد مراقبة الرجل دون أن يحس ... ولو كشَفْنا عن أنفسنا فقد يأخذ «الدهل» حذره، وتضيع جهود رجال الشرطة هباءً.

تختخ: فعلًا يجب أن نكون على حذر ... ويبدو أني سأعود إلى غرفة العمليات التي لم أدخلها منذ فترة طويلة.

نوسة: غرفة التنكُّر؟

تختخ: نعم ... إن المراقبة تحتاج إلى تنكُّر محكم.

صاحت «لوزة»: اسمع يا «تختخ» إنني لم أتنكَّر أبدًا ... أرجوك أن أتنكَّر في هذه المغامرة.

تختخ: ولكن يا «لوزة» ...

لوزة: أرجوك ... أرجوك يا «تختخ» وإلا تضايقتُ وتركتُ «المغامرين الخمسة».

ضحك «تختخ» قائلًا: تتركين «المغامرين الخمسة»! ... هل هذا معقول؟ إنهم بدونك يا عزيزتي لا يساوون شيئًا.

قال «عاطف»: إنك «تنفخها» بهذا الكلام يا «توفيق».

تختخ: تذكَّر القضايا الكثيرة التي استطاعت بذكائها وإلحاحها أن تدلنا على أشياء لم نكن نعرفها ... إني أثق فيها جدًّا.

لوزة: هل تجعلني أتنكَّر؟

فكَّر «تختخ» قليلًا، ثم قال: أحضري فستانًا قديمًا، وسآخذه معي لأُعِده للتنكُّر، ومؤقتًا سوف نخرج للتنزُّه على كورنيش النيل ... إننا نُريد أن نعرف مكان «مظلوم» بالضبط ... ونرى كيف حال «الدهل».

أسرعت «لوزة» إلى داخل منزلها وعادت بعد قليل ومعها لفة أعطتها لـ «تختخ» الذي أخذها معه، ثم غادروا الحديقة وقفزوا إلى دراجاتهم وانطلقوا وخلفهم «زنجر» إلى الكورنيش. عندما وصلوا إلى هناك تركوا دراجاتهم عند مدخل «الكازينو» حيث اعتادوا الجلوس، ثم ساروا على الأقدام وأخذوا يفحصون القوارب ... واقتربوا من مكان يُرابِط فيه

قاربان وحدهما، وقال «تختخ»: لاحظوا أننا يجب ألَّا يبدو علينا أننا نبحث عن شيء … وإلا اشتبه «الدهل» فينا.

قالت «نوسة» وهي تُشير بأصبعها: انظروا هناك!

ونظروا إلى حيث أشارت «لوزة»، وكان هناك رجل يجلس وبيده سنارة يصطاد بها السمك.

كان الرجل يوليهم ظهره، وكان يجلس على الشاطئ قرب القاربَين، وقالت «نوسة»: هل يكون هو «الدهل»؟

ردَّ «تختخ»: ليس مستبعدًا أن يكون «الدهل»، وسوف نتأكَّد بعد قليل، ولكن أيًّا كان هذا الشخص فهو بالتأكيد لا يصطاد السمك مطلقًا.

لوزة: كيف؟ إن معه سنارة!

تختخ: هل إذا كان معكِ سنارة ووضعتِها في مياه «بانيو» الحمَّام فمعنى ذلك أنكِ تصطادين السمك؟

لوزة: لا طبعًا.

تختخ: إن هذا الرجل يضع سنارته في «البانيو».

صياد ... بلا سمك

واقتربوا من الرجل وقال «تختخ» هامسًا: لا تتحدَّثوا بصوت مرتفع ... فهذا الرجل يعرفنا، وإذا سمع أصواتنا والتفت إلينا سيظن أننا نُراقبه.

محب: ولكن «الدهل» لا يعرفنا.

نوسة: إنه ليس «الدهل» يا «محب»، إنه الشاويش «فرقع»!

تختخ: تمامًا ... لقد نسينا أن الشاويش لا بد أن يكون مشتركًا في هذا اللغز ... فجزء هام منه يقع في دائرة اختصاصه.

عاطف: إنه يُراقب «الدهل» إذن!

تختخ: مؤكَّد ... فواضح من وضْع سنارته في ماء الشاطئ القليل جدًّا أنه لا يصطاد سمكًا ... ولكن يُحاول اصطياد «الدهل» شخصيًّا. إنه يتعاون بالتأكيد مع النقيب «مجدي».

لوزة: ولن نَلقى منه أية معونة.

تختخ: إننا لا نحتاج لمعونة أحد في هذه القضية، سوف نعتمد على جهودنا وحدنا.

محب: إن القارب «مظلوم» هو أحد القاربَين المربوطَين قريبًا من الشاويش «فرقع».

تختخ: إذن هيَّا نعود ... فأمامنا عمل كثير.

وفي الطريق شرح «تختخ» للأصدقاء خطته، وتتلخَّص في أن يقوم هو و«لوزة» بالتنكُّر في ثياب المشرَّدين، وأن يجلس بقية الأصدقاء في «الكازينو» الذي تعوَّدوا الجلوس فيه، فإذا حدث تطوُّر أسرعت «لوزة» إليهم بالأنباء.

وكان موعد الغداء قد حان، فأسرع «تختخ» إلى منزله بعد أن طلب من «لوزة» أن تحضر إليه بعد الغداء. وانصرفت «لوزة» سعيدةً مع شقيقها «عاطف»، و«محب» مع «نوسة».

تناول «تختخ» غداءه على عجل، ثم صعد إلى غرفة العمليات حيث توجد أدوات التنكُّر وبقية المعدات التي يحتاج إليها «المغامرون الخمسة» في مغامراتهم ... مسدَّسات صوت ... سنانير للصيد ... نظارات مكبِّرة ... قطع زجاج كالجواهر ... وسلالم من الحبال، وغيرها.

كانت غرفة العمليات تقع على السطح، ولا يدخلها سوى «تختخ»، وهو الذي يقوم بترتيبها وتنظيفها ... صعد «تختخ» إليها وطلب من الشغَّالة أن تُرسل إليه «لوزة» عندما تحضر، وخلع «تختخ» ثيابه الخارجية بعد أن اختار ملابس الصيادين ... القميص المخطَّط، والسروال الواسع، والقبعة الخوص ... ووقف أمام المرآة الكبيرة يضبط تنكُّره، وسمع دقًّا على الباب، ثم دخلت لوزة، ولم تكَد تراه حتى صاحت بإعجاب: يا لك من صياد مدهش!

وأخذ «تختخ» يتبختر أمامها في الغرفة معجبًا بتنكُّره، ثم أمسك اللفة التي كانت «لوزة» قد أحضرت فيها فستانها، وأحضر مقصًّا وأخذ يقص قطعًا منه هنا وهناك، ثم أحضر بعض الأصباغ وسكبها على أماكن متفرِّقة من الفستان ... وأخذ يعمل في صمت و«لوزة» تُراقبه بإعجاب، حتى أصبح الفستان الأنيق ثوبًا ممزَّقًا مهلهلًا قديمًا، ثم قال: والآن أيتها المغامرة الصغيرة ... هذا هو ثوب المغامرة، وسأترككِ دقائق وأعود لأرى شكلكِ الجديد.

وخرج «تختخ»، وسرعان ما خلعت «لوزة» فستانها وارتدت الثوب الممزَّق، ثم نكشت شعرها ... وعندما عاد «تختخ» بعد قليل أخذ ينظر إليها بإمعان، ثم قال: لا زلتِ في حاجةٍ إلى مزيدٍ من العمل.

وامتدَّت يداه إلى مجموعة من أصباغ الوجه، وأخذ يُلطِّخ وجه «لوزة» وذراعَيها، وساقَيها، ويُضيف هنا ويمسح هناك، ومضت ربع ساعة، ثم قال: انظري إلى نفسك في المرآة الآن ... والتفتت «لوزة» إلى المرآة وصاحت بدهشة: إنني ... لست أنا!

قال «تختخ» مبتسمًا: أنتِ الآن «وردة» بنت الصياد «عبد السميع».

ردَّدت «لوزة»: «وردة عبد السميع» ... هايل!

وأخرج «تختخ» سنارتَين إحداهما طويلة والأخرى قصيرة، سلَّمها لـ «لوزة»، ثم قال: هيا يا «وردة».

ونزلا من طريق سلم «الفيلا» الخلفي ... واتخذا طريقهما إلى الكورنيش ... وبعد فترة وصلا إلى حيث كان يجلس الشاويش «فرقع» فلم يجداه مكانه، ولكن القارب «مظلوم» كان ما زال واقفًا يتأرجح بخفة على سطح الماء.

فكَّر «تختخ» لحظات، ثم قال: سنركب هذا القارب.

تلفَّتت «لوزة» حولها، ثم قالت: «مظلوم»؟!

تختخ: نعم «مظلوم».

وشمَّر ساقَيه، وكذلك فعلت «لوزة»، ولكن «تختخ» قال ضاحكًا: لقد نسينا أهم شيءٍ في عدة الصيد ... الطُّعم ... تعالَي.

واختار «تختخ» مكانًا من الشاطئ تحت شجرة، ثم أخذ يحفر الطين في أماكن متفرِّقة حتى عثر على الديدان التي تُستخدم كطعم، ووضع ما جمعه منها في علبة صغيرة. وعادا يخوضان المياه حتى وصلا إلى القارب «مظلوم» وصعدا إليه.

وضع «تختخ» دودةً في طرف سنارته، ودودةً أخرى في طرف سنارة «لوزة»، ثم أدليا بسنارتَيهما في الماء، وقالت «لوزة»: أنا لا أعرف كيف أصطاد.

تختخ: إننا لم نحضر لنصطاد ... لقد جئنا للمراقبة ... ولكن لا بأس إذا واتانا الحظ من الحصول على بعض السمك ... خذي بالك ... إنكِ ترين في وسط الخيط كرةً صغيرةً من الخشب ... هذه الكرة تظل طافيةً على الماء ... فإذا ما أتت سمكة لأكل الطعم — أي الدودة — فستحسين في يدك برعشةٍ خفيفة، وستجدين الكرة الخشبية تغوص في الماء ... اتركيها نصف دقيقة حتى تُتيحي للسمكة فرصة أكل الطعم، ثم اجذبي السنارة برفق وبسرعة إلى فوق، وستجدين السمكة معلَّقةً في طرف السنارة.

لوزة: إنها مسألة سهلة جدًّا.

تختخ: على العكس ... إنها لا تأتي إلا بالمران حتى تتعوَّد يدك إمساك السنارة بطريقة صحيحة ... وتكتسبين الحساسية الخاصة، وتُدركين ما إذا كانت السمكة قد تعلَّقت بالسنارة لجذبها في الوقت المناسب، ومعرفة نوع «الغمز» الذي تُحدثه السمكة.

لوزة: «الغمز»؟

تختخ: نعم ... إنها حركة أكل السمكة للدودة ... وهي تُشبه النقر الخفيف، أو كأنك تدقين بأصبعك على ظهر يدك ... إن كل نوع من السمك له أسلوب خاص في الأكل لا يعرفه إلا الصيادون المحترفون.

لوزة: يا لك من عبقري يا «تختخ»!

تختخ: إنها القراءة والمران ... وعلى كل حالٍ فعليكِ أن تعرفي أن السمك الصغير ينقر أو يغمز بسرعة وبخفة، أمَّا السمك الكبير فينقر بقوة وببطء.

ومضى الوقت والسنارتان في الماء ... وفجأةً قالت «لوزة»: هناك «غمز»!

نظر «تختخ» بسرعة إلى الكرة الخشبية الطافية على وجه الماء ... ووجدها تغوص ثم تظهر ... فانتظر لحظات، ثم قال: ارفعي السنارة!

ورفعت «لوزة» سنارتها ... وكم كانت فرحتها عندما وجدت سمكةً من نوع البُلطي الصغير معلَّقةً في طرف السنارة، تتلوَّى وتلمع في الشمس.

أخذت «لوزة» تصيح: سمكة! سمكة!

ونظر إليها «تختخ» محذِّرًا قال: لا تنسَي أنك صيادة ... والصياد الحقيقي لا يُبدي كل هذا الانفعال من أجل سمكة.

وجذبت «لوزة» السنارة إليها، فقال «تختخ»: سأُخلِّص لكِ السمكة من السنارة فهذا يحتاج إلى خبرة، وإلا جرحتْك السنارة أو شوك السمكة.

كانا منهمكَين في تخليص السمكة عندما سمعا صوتًا خلفهما يقول: ماذا تفعلان هنا؟

كان صوت الشاويش «فرقع» فالتفت إليه «تختخ» ورمقه بطرف عينه، كان في ثياب التنكُّر.

فقال «تختخ» بصوت خشن: ما لك وما لنا أنت؟

ردَّ الشاويش «فرقع» سؤاله بصوت كالرعد: قلت لكما ماذا تفعلان هنا؟!

عاد «تختخ» يقول في هدوء: ومن أنت حتى تسأل هذا السؤال؟

كان الشاويش قد نسي أنه متنكِّر ... وسرعان ما ذكَّره سؤال «تختخ» بهذه الحقيقة فعاد يقول: إنني أعرف صاحب هذا القارب، وسوف يغضب جدًّا إذا رآكما هنا.

قال «تختخ» وهو يجذب سمكةً أخرى: لا أظن أنه سيغضب ... إننا لا نفعل شيئًا أكثر من الوقوف على القارب لصيد السمك ... ولا أظن أن صاحبه سيخسر شيئًا.

الشاويش: إنني أيضًا صياد.

تختخ: ذلك واضح من ثيابك يا عم.

سُرَّ الشاويش كثيرًا لأن تنكُّره متقن إلى هذا الحد، وقال برفق: أرى أنكما تصطادان بشكل طيب.

ردَّ «تختخ» بأسلوب الصيادين: إنها أرزاق يا عم.

الشاويش: إنني أصطاد في هذا المكان كل يوم دون أن أحصل على سمكة واحدة.

تختخ: لا بد أنك تضع السنارة في المكان الضحل من النهر، حيث السمك الصغير جدًّا، وهو سمك عفريت يسرق الطعم ولا يعلق بالسنارة.

الشاويش: إنك صياد ماهر برغم صغر سنك.

لم يردَّ «تختخ» وانهمك هو و«لوزة» في الصيد ... كان حظهما طيبًا فعلًا ... حتى إن بعض المارة وقفوا يتفرَّجون عليهما من بعيد ... وقال أحد الواقفين: هل تبيعان هذا السمك؟

ردَّ «تختخ»: ليس الآن يا عم ... قرب المساء عندما نجمع كميةً كافية.

مال «تختخ» على «لوزة» قائلًا في همس: هذه الزفة ليست في صالحنا ... ولا أدري ماذا يدور بذهن الشاويش.

لوزة: هل نُغادر المكان؟

تختخ: لا.

لوزة: هل تتوقَّع ظهور «الدهل» الآن؟

تختخ: لا ... سيأتي بعد أن تنكسر حِدة الشمس، هذا إذا كان يحضر يوميًّا.

وصمت قليلًا، ثم قال: لا تخرجي سمكًا لبعض الوقت حتى ينصرف هؤلاء الناس.

وقضى «تختخ» و«لوزة» بعض الوقت دون أن يصطادا شيئًا، فتفرَّق الواقفون كما توقَّع «تختخ»، ولكن الشاويش ظلَّ في مكانه يرمقهما في ارتياب، ثم قال فجأة: ألم أرَكما من قبل؟! دقَّ قلب الصديقَين سريعًا، وأخذ «تختخ» يُفكِّر في ردٍّ معقول ... وعاد الشاويش يقول وقد ازداد ارتيابه: ألم أرَكما من قبل؟

ردَّ «تختخ» بصوت خشن حاسم: ... ماذا تُريد منا يا عم، لا بد أنكَ رأيتَنا ما دمتَ تصطاد هنا منذ فترة طويلة.

ثم أضاف: وإن كنا نحن لم نرَك من قبلُ تصطاد.

ارتبك الشاويش أمام هذا الرد وقال متلعثمًا: إني لا أصطاد في هذا المكان عادة، ولكني أحضرتُ قاربي منذ أيام قليلة في هذا المكان. وأشار الشاويش إلى القارب الآخر المربوط بجوار قارب «الدهل» فقال «تختخ»: هل هذا قاربك؟

الشاويش: نعم.

تختخ: لماذا لا تركب إذن وتدخل إلى منتصف النيل قرب الجزر؟ هناك سمك أكبر.

زاد ارتباك الشاويش وقال: إني في انتظار حضور صاحب القارب الآخر.

تختخ: لماذا؟

أحسَّ الشاويش أن رأسه سينفجر فصاح بضيق: هل تستجوبني أيها الولد؟

ردَّ «تختخ»: لا يا عم ... ولكنك بدأت بالأسئلة لا نحن.

صمت الشاويش، ولكن قلبه كان يُحدِّثه أن هذا الولد ... وهذه البنت ليسا غريبَين عنه ... إنه رآهما من قبل ... ولكن أين؟

كان الشاويش يُدلي سنارته في المياه الخفيفة الضحلة قرب الشاطئ، ولم يكن يصطاد سمكةً واحدة ... على حين كان «تختخ» و«لوزة» مستمرَّين في الصيد بشكل مدهش ... ولم يُحس الثلاثة بسيارة وقفت على الكورنيش، ورجل نزل منها ووقف يرقب الثلاثة باهتمام وعلى شفتَيه ابتسامة عريضة.

وأحسَّت «لوزة» بسمكة تجذب سنارتها بشدة، وصاحت بـ «تختخ»: يبدو لي يا ... يا ...

كادت أن تقول يا «تختخ» لولا أن تذكَّرت في آخر لحظة أنهما الآن ليسا «تختخ» ولا «لوزة»، ولكن «وردة» قالت أول اسم خطر على بالها: يا «طباظة» ساعدني! وألقى «تختخ» بسنارته جانبًا، وأمسك بسنارة «لوزة» وجذبها إلى فوق بكل قوته، وخرجت السنارة من المياه، وفي طرفها تعلَّقت سمكة من نوع «البياض» ... وسمعا صوتًا يأتي من الخلف قائلًا في سعادة: عظيم ... هائل جدًّا!

سمك وأصدقاء

لم يكن صوت الشاويش «فرقع» ... كان صوت الرجل الأنيق الذي نزل من السيارة. والتفت «تختخ» و«لوزة» إليه، كان «الدهل».

كان متغيِّرًا إلى حدٍّ ما عن الصورة التي أعطاها المفتش «سامي» للمغامرين ... كان أكثر سمنة ... حليق اللحية والشارب، أشيب الشعر قليلًا ... وعلى وجهه ابتسامة لا تُفارقه.

عاد «الدهل» يقول: إنكما صيادان بارعان.

ردَّ «تختخ»: لو كان عندنا قارب لاصطدنا أكثر ... فالسمك الكبير لا يعيش قرب البر ... ولكن في وسط النهر.

قال «الدهل» والابتسامة على شفتَيه: مسألة بسيطة ... استخدما قاربي.

تختخ: وهل لك قارب يا عم؟

ضحك «الدهل» قائلًا: إنه القارب نفسه الذي تقفان عليه.

تختخ: «مظلوم»؟

الدهل: نعم «مظلوم»!

تختخ: شكرًا لك يا عم ... إنني وأختي «وردة» نَعول أبانا المُقعد، وأُمُّنا تبيع الفجل، ولنا إخوة صغار.

الدهل: إذن استخدما قاربي في أي وقت ... ولي شرط واحد.

تختخ: أمرك يا عم.

الدهل: أن أذهب معكما للصيد ... وأن تعطياني بعض السمك الذي تصطادانه.

تختخ: موافق يا عم ... إنك رجل كريم ...

كان الشاويش يسمع هذا الحوار وهو يكاد يختنق غيظًا؛ فقد كان يُريد أن يعقد صداقةً مع «الدهل»، ولكن هذَين العفريتَين الصغيرَين سبقاه ... وقرَّر أن يتدخَّل في الحديث فقال: وأنا على استعداد لمشاركتكم.

نظر إليه «الدهل» في تأمُّل، ثم قال: إني أترك هذه المسألة لصديقي الصغير؛ فهو حرٌّ أن يُشارك أو لا يُشارك.

قال «تختخ»: لا داعي لهذه الشركة ... فصيد بالسنانير لا يستحق المشاركة، ولو كان الصيد بالشباك لوافقنا على الشركة.

ضحك «الدهل» وقال: إنك بارع يا بني ... وعندما كنتُ صغيرًا مثلك لم يكن لي مثل هذا الذكاء.

واحمرَّ وجه الشاويش، وأخذ ينظر إلى الصديقَين نظرات يتطاير منها الشرر، ولكن «تختخ» تجاهله ... وكان «الدهل» قد صعد إلى الكورنيش، وعاد ومعه سنارة فاخرة للصيد، ولدهشة «تختخ» و«لوزة» جلس «الدهل» على صخرة قريبة ... ثم خلع حذاءه، وجوربه، وشمَّر سرواله، ثم غاص في المياه وهو يحمل الحذاء في يده، وركب الزورق قائلًا: هيا نُجرِّب حظنا في وسط النهر.

وفكَّ «تختخ» رباط القارب، وجلس «الدهل» في وسطه، وأخذ يُجذِّف مبتعدًا، وأفاق الشاويش من الذهول الذي سيطر عليه لتطوُّر الأحداث بهذه السرعة، وقفز هو الآخر إلى الماء ... وأسرع بقاربه خلفهم ... وعشرات الأفكار تقفز إلى رأسه.

قال «الدهل»، موجِّهًا حديثه إلى «تختخ»: إلى أين نتجه؟

كان «تختخ» يتوقَّع هذا السؤال فقال: إلى حيث تُريد ... إنها مسألة حظ؛ فقد نختار مكانًا ثم لا نجد فيه سمكًا ... وقد نذهب إلى مكان دون اختيار، ونصطاد كثيرًا.

قال «الدهل»: سنذهب إلى قرب هذه الجزيرة الصغيرة التي على اليمين.

وأخذ يُجدِّف في اتجاه جزيرة صغيرة في وسط النهر ... قرب جزيرة «الذهب» الكبيرة التي تمتد من مصر القديمة إلى قرب «المعادي».

وكان الشاويش «فرقع» يُجدِّف جاهدًا أن يلحق بهم. لم يكن يُجيد التجديف، فكان المجدافان يضربان يده فيُؤلمانه ... ولكنه استمرَّ يُجدف ... فهذا هو «الدهل» والمطلوب معرفة كل حركة من حركاته حتى يُقدِّم بذلك تقريرًا إلى الضابط «مجدي». وتوقَّف القارب أخيرًا عند الجزيرة الصغيرة، وقفز «تختخ» إلى الجزيرة، وغرس قطعة خشب ربط بها القارب، ثم عاد ... وبدأ الثلاثة يُلقون بسنانيرهم في المياه ... وبعد لحظات لحق بهم

الشاويش وقد سال عرقه ... وربط هو الآخر قاربه قريبًا منهم ... وألقى بسنارته في الماء ...

قال «الدهل» مبتسمًا: لا أدري لماذا يُصر هذا الرجل على أن يتبعنا بهذا الشكل؟

تختخ: إنه لا يبدو صيادًا بالمعنى الصحيح؛ فقد كان يصطاد في المياه الضحلة التي لا يمكن أن يوجد فيها سمك!

بدت على وجه «الدهل» بعض علامات الضيق وقال: إذا لم يكن صيادًا فماذا يكون؟

تختخ: لا أدري يا عم.

صمت «الدهل» وأخذ ينظر إلى الشاويش في تأمُّل، ثم قال: إن وجهه ليس غريبًا عني، ولكني لا أذكر متى رأيته ... ربما ... ربما ...

ثم صمت «الدهل» ومضى يُحرِّك سنارته ذات اليمين وذات الشمال فقال «تختخ»: إن حركة السنارة تدل على أنك صياد بارع.

الدهل: نعم؛ فقد بدأت حياتي مساعدًا لصياد في بلدنا الصغير قرب «بلطيم» ...

تختخ: «بلطيم»؟ لقد ذهبت إلى هناك.

الدهل: بعد أن تُوفِّي والدي ووالدتي وأنا صغير ... عِشت مع أحد أقاربي وهو صياد هناك، وذات يوم تغيَّر مجرى حياتي ... حضر رجل إلى المصيف، فاشتغلت عنده ... وعندما انتهى المصيف أخذني معه إلى «القاهرة» ...

كان «تختخ» يستمع باهتمام ... فقد يقول الرجل قصةً كاملة، ويصل إلى الحادث الهام ويعرف منه أسرار «الحقيبة الدبلوماسية» ... ولكن آمال «تختخ» تبخَّرت؛ فعندما لاحظ الشاويش «فرقع» أن «الدهل» يتحدَّث فكَّ قاربه واقترب منهم ليستمع هو الآخر؛ فتوقَّف «الدهل» عن الحديث ... وأخذ ينظر إليه في ارتياب ...

أحسَّ «تختخ» بالسخط على الشاويش ولكنه لم يدفع «الدهل» إلى الاستمرار في حديثه ... كان يُريد أن يكتسب ثقته كاملة ... وألَّا يدعه يستريب فيه، وبخاصةٍ بعد هذه البداية الممتازة لعلاقتهما ... ومضى الوقت دون أن تغمز سمكة واحدة، وقال «الدهل» مبتسمًا: يبدو أنني أفسدت حظَّكما.

ردَّ «تختخ»: لا بد أن ننتظر فترةً أطول. إن صيد السمك رياضة الصبر ... كانت «لوزة» منهمكةً طول الوقت في الصيد، صامتة لا تتكلَّم، فمدَّ «الدهل» يده إلى رأسها وربت على شعرها قائلًا: اسمك «وردة»؟

وقلَّدت «لوزة» أسلوب «تختخ» في الحديث قائلة: نعم يا عم.

ابتسم «الدهل» قائلًا: إن شكلكِ جميل جدًّا يا «وردة»، وسوف أُعطيك بقشيشًا كبيرًا إذا اصطدتِ سمكةً أخرى من سمك «البياض» ... فإنني أُحب هذا النوع من السمك جدًّا.

قالت «لوزة»: الله يرزقنا يا عم.

كانت «لوزة» تُؤدِّي دورها في مهارة أسعدت «تختخ» ... ومضى الوقت وفجأةً قالت «لوزة»: لقد بدأ السمك يأتي، إن السنارة تغمز.

ثم رفعت سنارتها فجأة، ولمعت في نهايتها سمكة من نوع الصير الأبيض اللامع، وقفز «الدهل» مثل طفل سعيد وأخذ يمد يده محاولًا الإمساك بالسنارة حتى أمسكها، وأخذ يتأمَّل السمكة في إعجاب وهو يقول لـ «لوزة»: إنها ليست من «البياض»، ولكني سأُعطيك البقشيش.

واصطاد «الدهل» سمكةً أخرى ... فرح بها جدًّا ... وأخذ الثلاثة يتبارون في الصيد و«الدهل» سعيد للغاية، والشاويش «فرقع» يكاد ينفجر من الغيظ؛ فهو لم يصطَد سمكةً واحدة.

وأخذت الشمس تغرب، فقال «الدهل»: سأعود الآن ... هل تبقيان؟

ردَّ «تختخ»: لا ... لا بد أن نعود نحن أيضًا.

الدهل: إذن سيكون موعدنا غدًا في الساعة نفسها، في المكان نفسه إن شاء الله، وإذا شئتما الاتصال بي، فعنواني ٥ شارع «ابن زنكي» بـ «الزمالك».

وعادوا إلى الشاطئ، وجمع «تختخ» السمك الذي اصطادوه كله، ثم قدَّمه إلى «الدهل» قائلًا: هذا كل ما اصطدناه من السمك يا عم ... سنُقسِّمه ... أنت النصف مقابل استخدام القارب، ونحن النصف.

قال «الدهل» ضاحكًا: إنكَ ولد أمين ... إنني سآخذ ثلاث سمكات فقط لعشائي، وسأدفع لكما كل واحد جنيهًا.

صاح «تختخ» مندهشًا: ياه! ... إنه مبلغ ضخم ...

الرجل: من أجل هذه الفتاة الصغيرة «وردة»؛ فإنني معجب بها جدًّا، وكنت أتمنَّى أن تكون لي بنت مثلها ... وإذا شئتما زيارتي فعنواني ٥ شارع «ابن زنكي» بـ «الزمالك» ...

وودَّعهما «الدهل»، ثم ركب سيارته الفاخرة وانطلق عائدًا، وكان الشاويش يرقبه بعينَي الصقر ... وقال «تختخ» لـ «لوزة»: هيا نعود سريعًا إلى البيت.

لوزة: لماذا؟

تختخ: إن الشاويش في الأغلب يشك فينا، وسوف يأتي إلينا بعد أن يُغيِّر ثيابه. وأخذا طريقهما إلى البيت، ونظر «تختخ» بطرف عينه خلفه، وكما توقَّع كان الشاويش يتبعهما

في ملابس الصياد ... وتأكَّد أنه يشك فيهما، فقال لـ «لوزة»: سوف نتجه إلى «عزبة فهمي» في آخر «المعادي» ... إن الشاويش يتبعنا ويجب أن نُضلِّله حتى لا يُفسد خطتنا ... وعندما نصل إلى العزبة سيكون الظلام قد حل، ومن الممكن في هذه الحالة الاختفاء عن عينَي الشاويش.

وسار «تختخ» و«لوزة»، وبين فينة وأخرى كان «تختخ» يرمق الشاويش بطرف عينه فيجده في أثرهما ... لقد كان الشاويش مُصرًّا على مراقبتهما حتى النهاية.

كانت «عزبة فهمي» في نهاية «المعادي» ... وتُطل على الصحراء الواسعة ... وعندها وصل «تختخ» و«لوزة» إلى هناك كان الظلام قد هبط تمامًا ... فقال «تختخ»: سندور حول العزبة بسرعة، ثم نمضي في الرمال ونختفي خلف أول صخرة تُقابلنا. ونفَّذا الخطة، وشاهدا الشاويش وهو يمضي في أثرهما وينظر إلى الصخرة، فأخذا يدوران حولها حتى لا يراهما ... وعندما تجاوز الشاويش الصخرة مسرعًا وهو يُحاول اللحاق بهما بعد أن غابا عن بصره ... أسرع الصديقان في العودة إلى الطريق المعتاد، وقالت «لوزة»: إني في غاية التعب.

ردَّ «تختخ»: وأنا أيضًا ... وعلى كل حال سنكتفي اليوم بما فعلنا ولنلتقِ غدًا.

لوزة: والسمك؟

تختخ: سأضعه في الثلاجة، ونتغدَّى به نحن والأصدقاء.

وعادا إلى منزل «تختخ»، ومرَّا من السلم إلى غرفة العمليات، وغيَّرت «لوزة» ثيابها، ثم أسرعت إلى منزلها.

دخل «تختخ» الحمَّام، فاغتسل جيدًا، ثم جلس يتعشَّى وهو سعيد بما حقَّقه من تقدُّم في التعرُّف إلى «الدهل»، وبعد أن انتهى من العشاء ... اتصل تليفونيًّا بـ «محب» و«نوسة» ليُخطرهما بكل ما حدث ... وطبعًا كانت «لوزة» قد روت لـ «عاطف» ما مرَّ بها هي و«تختخ» من أحداث.

ولم يكَد «تختخ» يضع سمَّاعة التليفون، حتى سمع جرس الباب يدق. كان قريبًا من الباب فأسرع يفتحه، وكما توقَّع بالضبط كان الشاويش «فرقع» يقف بثيابه الرسمية أمامه.

قال «تختخ»: تفضَّل يا حضرة الشاويش.

الشاويش: لقد جئت لأنني ...

ثم توقَّف لحظات وعاد يقول: لأنني ... هناك شكوى قدَّمها مواطن ضد كلبك «زنجر».

كان «تختخ» يُدرك أن الشاويش لا يقول الحقيقة ... وقد جاء ليتأكَّد من وجود «تختخ» في المنزل ... وهل هو الولد الصياد الذي تعرَّف إلى «الدهل»؟

ولَمَّا كان «تختخ» سعيدًا بما حقَّقه ذلك اليوم من تقدُّم في التعرُّف إلى «الدهل»، فقد قرَّر أن يُعابث الشاويش قليلًا فقال: ربما كانت الشكوى صحيحةً يا شاويش ... وأُحب أن أذهب معكَ لمقابلة هذا المواطن والاعتذار إليه ...

زاد ارتباك الشاويش وقال: إن الرجل لن يقبل اعتذارك.

هزَّ «تختخ» رأسه آسفًا وقال: وماذا تُريد مني إذن أن أفعل يا حضرة الشاويش؟

قال الشاويش: أُريد أن أعرف أكنتَ ساعتها مع الكلب أم لا؟

تختخ: متى؟

الشاويش: اليوم قرب المغرب.

وفكَّر «تختخ» قليلًا، ثم قال: لقد كنتُ في السينما يا شاويش حفلة الساعة الثانية فيلم «العبيط والكلب»!

احمرَّ وجه الشاويش وصاح: وهل هناك فيلم بهذا الاسم؟!

ردَّ «تختخ» بهدوء: اقرأ الجرائد يا شاويش.

الشاويش: إنك تعبث بي ... وتُضايقني.

رفع «تختخ» أصبعه في وجه الشاويش محذِّرًا: إنك تتهمني بالكذب يا شاويش وهذه مسألة خطيرة.

زعق الشاويش: أين بقية تذكرة السينما؟

تختخ: لقد ألقيتُ بها طبعًا ... فلستُ من هواة جمع التذاكر.

أدرك الشاويش أنه وضع نفسه موضع السخرية.

وقبل أن يُغلق «تختخ» الباب خلف الشاويش قال له: سأحضر غدًا للاطلاع على الشكوى المقدَّمة ضد «زنجر» يا شاويش ... فإذا لم تكن موجودة ...

وأغلق الباب، ثم انفجر ضاحكًا.

ثورة الشاويش

اجتمع الأصدقاء في صباح اليوم التالي في حديقة منزل «عاطف»، وتناقشوا في أحداث الأمس، وقال «محب»: ولكن ماذا تُريد من صداقتك مع «الدهل» يا «تختخ»؟

تختخ: الوصول إلى مكان الحقيبة طبعًا.

محب: ولكن من الواضح أن «الدهل» قد أخرج الحقيبة من حيث أخفاها، ولعله أعدم الحقيبة وما بها من أوراق، واكتفى بالمبلغ الضخم الذي يُنفق منه الآن ... وهكذا تختفي الحقيبة إلى الأبد ... ولن تصل إلى شيء.

فكَّر «تختخ» لحظات، ثم قال: معك حق ... ولكن إذا لم يكن عندنا شيء نفعله فلماذا لا نُحاول ... لعل «الدهل» في أحاديثه معنا أنا و«لوزة»، يقول لنا الحقيقة.

محب: غير معقول طبعًا ... إنه ليس «دهل» ... إنه داهية، ويكفي أنه استطاع الاحتفاظ بالسر ثلاث سنوات كاملة، ثم خرج ليستمتع بالنقود.

تختخ: لا أدري لماذا أشعر أن وراء هذه الحقيبة أسرارًا أخرى ... ولو كان المفتش موجودًا لناقشنا معه بعض التفاصيل الخاصة بهذه القضية ... ولكن ليس أمامنا الآن إلا ما نفعله.

عاطف: وحكاية الشاويش ... هل نتركها تمرُّ هكذا ... إنها فرصة للهزار، هيا بنا نُقابله.

تختخ: لا داعي لهذا يا «عاطف».

عاطف: على العكس ... إنها فرصة لا تُعوَّض ... وليس أمامنا ما نفعله حتى موعدكم مع «الدهل»، وقد نحصل على معلومات إضافية من الشاويش.

وهكذا انطلق «المغامرون الخمسة» ومعهم «زنجر» لمقابلة الشاويش ... ووجدوه يجلس وحيدًا وقد وضع رأسه بين كفَّيه مستغرقًا في تفكير عميق ... فصاح «عاطف»: يا شاويش «علي»!

فزع الشاويش ورفع رأسه، وأخذ ينظر إلى «المغامرين الخمسة» كأنهم هبطوا من القمر ... وتقدَّم «تختخ» قائلًا: لقد جئتُ للاطلاع على الشكوى المقدَّمة ضدي.

ارتبك الشاويش وأخذ ينظر حوله كأنه يبحث عن منفذ.

ثم قال: إنها ليست مقدَّمةً ضدك.

تختخ: لقد قلتَ لي أمس إن هناك شكوى مقدَّمة ...

صرخ الشاويش: قلت لكَ ليست ضدك!

تقدَّم «عاطف» قائلًا: تقصد إذن أنها ضد «زنجر».

الشاويش: وما دخلك أنت؟

عاطف: إن «زنجر» كلبنا جميعًا، وليس كلب «تختخ» وحده ... والشكوى ضده، شكوى ضدنا كلنا.

كان الشاويش يُفكِّر بسرعة محاولًا كسب بعض الوقت للخروج من هذا المأزق السخيف، ووجد الحل المناسب، فقال: لقد كانت شكوى ضد كلب أسود ... وليس كلبكم هو الكلب الأسود الوحيد في «المعادي»!

وأعجبته الفكرة التي وصل إليها فوقف صائحًا: انتهى الكلام ... هيا فرقعوا من هنا وإلا ...

ابتسم «تختخ» قائلًا: عظيم يا شاويش ... لقد حصلتَ على حلٍّ معقول.

ارتفع صوت الشاويش أكثر قائلًا: هيا فرقعوا من هنا ... وسوف تدفعون ثمن تجرُّئكم على ممثِّل القانون. سوف تقعون في يدي ... بأسرع ممَّا تتصوَّرون ...

وخرج الأصدقاء وقال «محب»: لم نستطِع إحراج الشاويش كما كنا نرجو ... ولم نحصل منه على أية معلومات.

تختخ: وأكثر من هذا أثرناه ضدنا.

لوزة: الحق على «عاطف» إنه الذي دفعنا إلى هذا الموقف السخيف.

عاطف: لا تغضبوا ... وتعالَوا أدعوكم إلى «جيلاتي» في «الكازينو».

ورحَّب الأصدقاء بالدعوة، وانطلقوا إلى الكورنيش ... واتفقوا على أن يقوم «محب» و«نوسة» و«عاطف» بالمراقبة على الشاطئ عندما يأتي «الدهل» لمقابلة «تختخ» و«لوزة».

بعد الظهر كان «تختخ» و«لوزة» في ثيابهما التنكُّرية يسيران إلى الكورنيش، واتجها فورًا إلى القارب «مظلوم» وقفزا إليه ... لقد أصبحا صديقَين لصاحبه ومن حقهما استعماله في أي وقت ... وكان قد بقي على موعدهما مع «الدهل» نحو ساعة، فجلسا يصطادان السمك ويتحدَّثان، ونسيا أن الشاويش «فرقع» كان يتبعهما في ثيابه الرسمية. فلمَّا استقرَّا على ظهر القارب ظهر الشاويش واتجه إليهما رأسًا، ووقف على الشاطئ وصاح: ماذا تفعلان في القارب؟!

ردَّ «تختخ»: لا نفعل شيئًا يا حضرة الشاويش، إننا نصطاد.

الشاويش: وهل هذا القارب ملك لكما؟

تختخ: لا ... ولكن صاحبه صديقنا.

الشاويش: هل معكما ورقة منه بالسماح باستخدامه؟

تختخ: لا ...

الشاويش: إذن فأنتما تعتديان على أموال الغير، وإنني أقبض عليكما بهذه التهمة.

تختخ: إننا مسكينان يا شاويش ... نُنفق على والدنا المشلول وأُمِّنا المسكينة فاتركنا لوجه الله.

كان الشاويش مُصمِّمًا على أن يكشف حقيقة هذَين المتشرِّدَين ... فلم يستجِب لاستعطاف «تختخ» وصاح: تعاليا هنا فورًا!

أدرك «تختخ» أن الشاويش يرتاب فيهما بشدة، وأنه لو قبض عليهما فمن السهل عليه اكتشاف تنكُّرهما ... ويضيع كل شيء ... كان ذهنه يعمل بسرعة ... إمَّا أن يستسلما وينكشف أمرهما، وإمَّا أن يهربا. واختار الحل الثاني ... وببساطة مدَّ «تختخ» يده، وفكَّ الحبل الذي يربط القارب بالشاطئ ... ولا حظ الشاويش ما يفعله «تختخ»، فأخذ يصيح: ارجعا إلى هنا ... إلى أين تذهبان؟ سأطلق عليكما النار. ولكن «تختخ» لم يلتفت إليه، وأعمل المجدافين في الماء.

تردَّد الشاويش لحظات، ثم نزل إلى الماء بحذائه وثيابه ... وأسرع إلى القارب الآخر ... وفكَّ رباطه وأمسك بالمجدافَين وبدأت المطاردة ... كان «تختخ» قد سبقه بمسافة فأخذ الشاويش يُجدِّف بشدة محاولًا اللحاق بهما.

قالت «لوزة»: إنه سيلحق بنا ... فهو يُجدِّف بشدة.

تختخ: لا تخافي ... سوف يتعب بعد قليل وبخاصةٍ أنه يلبس ملابسه الرسمية الثقيلة.

ولكن الشاويش خيَّب ظن «تختخ» وأخذت المسافة تضيق بينهما ... وكان الشاويش موليًا ظهره إليهما، وكان عليه أن يلتفت بين فترة وأخرى ليراهما، واستخدم «تختخ» هذا

الموقف بذكاء فكان يُغيِّر اتجاهه باستمرار ... وكلما اقترب الشاويش ونظر، وجد قارب «تختخ» قد انحرف إلى جهة أخرى.

وقال «تختخ»: إننا نقترب من «جزيرة الذهب».

لوزة: وماذا نفعل هناك؟

تختخ: سنتخلَّص من الشاويش.

لوزة: كيف؟

تختخ: سترين الآن.

واستجمع «تختخ» كل قوته وأخذ يبتعد قليلًا قليلًا عن الشاويش، ويقترب في الوقت نفسه من الجزيرة الكبيرة ... وسرعان ما وصل إليها، وقال لـ «لوزة»: استعدي للقفز بسرعة! وترك «تختخ» القارب يصطدم بالشاطئ الطيني، ثم قفز هو و«لوزة» وأسرعا يجريان، وفعل الشاويش مثلهما ... ترك قاربه يصطدم بالشاطئ، ثم قفز هو الآخر، وأسرع خلفهما.

قالت «لوزة»: هل نختفي في المزروعات؟

تختخ: لا ... سنعود إلى القارب ... ولكن بعد أن نُتعبه في الجري.

أخذا يجريان والشاويش خلفهما وقد تقطَّعت أنفاسه، وسال العرق من جميع أنحاء جسمه، وبين لحظة وأخرى كان يصيح: قفا ... قلت لكما قفا!

ولكن «تختخ» و«لوزة» ظلَّا يجريان، ثم دارا دورةً واسعةً في الجزيرة، وعادا مرةً أخرى إلى حيث كان القاربان.

كانت المسافة بينهما وبين الشاويش نحو ثلاثين مترًا ... وقفز «تختخ» إلى قاربهما، وصاح بـ «لوزة»: اقفزي إلى القارب الآخر واربطيه بقاربنا!

فعلت «لوزة» ما طلبه «تختخ»، وسرعان ما كان القاربان يبتعدان والشاويش يجري في اتجاه الشاطئ محاولًا اللحاق بهما، ولكنه عندما وصل إلى حافة الماء كان القاربان قد ابتعدا أكثر من عشرة أمتار ... ووقف الشاويش يصيح ويُشير بيدَيه، ولكن «تختخ» مضى بهدوء دون أن يلتفت ...

قالت «لوزة»: ولكن كيف يعود الشاويش إلى الشاطئ؟

تختخ: ستمر بعض القوارب وسيعود ... المهم الآن أن نُسرع لنلحق بـ «الدهل» ... كان «تختخ» متعبًا، ولكنه أخذ يُجدِّف بقوة، وشيئًا فشيئًا كان الشاطئ يقترب، ووصلا في النهاية ... ولكن لم يكن هناك أثر للسيارة ولا لـ «الدهل».

قال «تختخ»: يبدو أنه حضر وانصرف.

لوزة: إن بقية الأصدقاء يقومون بالمراقبة وسنعرف منهم ما حدث.

وأسرعا إلى الشاطئ، ووجدا الأصدقاء يقفون بعيدًا ... وحسب الخطة لم يقترب الأصدقاء منهما، ولكن تبعوهما من بعيد ... وعندما دخل «تختخ» و«لوزة» إلى الكشك الخشبي الذي في حديقة «عاطف» لحق بهما الأصدقاء و«زنجر»، وقال «محب»: حدثت تطوُّرات غريبة على الكورنيش في أثناء المطاردة بينكما وبين الشاويش «فرقع».

تختخ: ماذا حدث؟

محب: وصل «الدهل» يقود سيارته ... ونزل منها ووقف أمام الكورنيش، وأخذ ينظر في النهر ... وبعد لحظات وصلت سيارة أخرى نزل منها شخصان واتجها إليه. ودارت مناقشة حامية بين الثلاثة ... إننا لم نسمعها فقد كنا بعيدين حسب الاتفاق ... ولكن من المؤكَّد أنهم كانوا يتبادلون حديثًا غاضبًا ... فقد كانوا يُشيرون بأيديهم ويهزون رءوسهم.

تختخ: وبعدها؟

عاطف: اقتربتُ منهم وحاولتُ أن أسمع ما يقولون ... كان أحد الرجلَين يقول لـ «الدهل» ... سنقتلك ... إنك يجب أن تفي بما وعدت ... وردَّ «الدهل» عليه قائلًا: إنني ما زلتُ عند وعدي ... ولكن ... فقال الثالث: لقد مضى أكثر من شهر وأنت تعدنا ... لقد رأيناك أمس وأنتَ تركب القارب ... إنك لم تكن تصطاد طبعًا ...

كان «تختخ» يستمع باهتمام بالغ، ومضى عاطف في سرد ما سمعه: وتدخَّل الرجل الآخر وقال لـ «الدهل»: ماذا تنتظر منا؟ ... إننا أعطيناك أكثر منهم ... وصمت «عاطف» لحظات، ثم قال: ولاحظ أحد الرجلَين أني أسترق السمع، فأشار لزميله وركب السيارة بعد أن أمَرَا «الدهل» أن يركب سيارته ويمضي خلفهما.

تختخ: وهل أطاعهما «الدهل»؟

عاطف: نعم ... وابتعدت السيارتان.

تختخ: إنها معلومات على جانب كبير من الأهمية ... ولكن علينا الآن أن نُغيِّر ثيابنا؛ فقد يصل الشاويش في أية لحظة.

عاطف: خُذ بعض ثيابي.

تختخ: ستكون ضيقة.

وفي تلك اللحظة شهقت «نوسة» شهقةً قويةً وقالت وهي تُشير بأصبعها نحو نافذة الكوخ: إنه قادم!

لوزة: من؟ «الدهل»؟

نوسة: لا ... الشاويش!

تطوُّرات سريعة

مرَّت لحظات حرجة والشاويش يتقدَّم عبر الحديقة الواسعة ... كان واضحًا أنه متجه إلى الكوخ فهو يعرف أين يلتقي الأصدقاء ... وكان من المؤكَّد أنه لو شاهد «تختخ» و«لوزة» في ثيابهما التنكُّرية مع بقية المغامرين فسيعرف الحقيقة، وتُصبح كارثةً من جميع النواحي.

لم يكن هناك سوى حل واحد ... وكان أول من فكَّر فيه هي «نوسة» التي صاحت: أطلقوا «زنجر» لتعطيله ... وأسرع أنتَ يا «عاطف» خلف الأشجار وأحضر بعض الثياب لـ «لوزة» و«تختخ».

وقال «تختخ» لـ «زنجر»: هيا يا «زنجر» ... لا تعَض الشاويش ... العب معه فقط.

أسرع الكلب الذكي منطلقًا كالقذيفة ... في اتجاه الشاويش الذي لم يكد يراه حتى وقف مكانه مرتبكًا ... وفي الوقت نفسه تسلَّل «عاطف» عبر الأشجار إلى المنزل، ودخل «تختخ» إلى دورة المياه الملحقة بالكوخ، فاغتسل ... ودخلت بعده «لوزة» وفعلت مثله.

اختلط صياح الشاويش بزمجرة الكلب ... ولكن الأصدقاء ظلُّوا في أماكنهم كأنهم لا يسمعون استغاثة الشاويش. وعاد «عاطف» فلبست «لوزة» فستانًا نظيفًا ... وكانت المشكلة هي «تختخ» الذي أخذ يُحاول جاهدًا الدخول في ثياب «عاطف» الضيقة ... كان الأمر صعبًا لا يُطاق، فقال «محب»: اسمع يا «تختخ»، تمدَّد على هذه الكنبة، وسنُغطِّيك بمفرش المائدة، وتظاهر بأنك مريض؛ وهكذا لن يكتشف الشاويش الحقيقة.

وأسرع «تختخ» يُنفِّذ ما قاله «محب» وقال: والآن اذهبي يا «لوزة» واستعيدي «زنجر» ... إن الشاويش عندما يراكِ سيفقد نصف شكوكه.

وأسرعت «لوزة» تخرج من الكوخ، وكان الكلب يدور حول الشاويش الذي كان يصيح في طلب النجدة، وقالت «لوزة»: ماذا حدث؟ ... تعالَ هنا يا «زنجر»؟

وأسرعت تجذب الكلب في حين أخذ الشاويش الذي كان في قمة غضبه يصيح: إنني لن أسكت بعد الآن عن هذا الكلب ... إنه يُعطِّلني عن أداء واجبي.

قالت «لوزة» بهدوء: هل جئتَ تقبض على أحدٍ هنا يا شاويش؟

هدأ الشاويش فجأة، كأنما انسكب عليه ماء بارد وقال: أقبض ... لا ... إنني جئت ...

لوزة: إن ثيابك مبلولة يا شاويش ... وقد تُصاب ببرد.

الشاويش: دعكِ من ثيابي ... أين بقية الأولاد؟

لوزة: تقصد المغامرين؟

الشاويش: الأولاد أو المغامرون ... أين هم؟

لوزة: لماذا يا شاويش؟ هل هناك شكاوى أخرى؟

الشاويش: إنكِ تُضيِّعين وقتي ... أين هم؟

لوزة: إنهم في الكوخ، فإن «تختخ» مريض ...!

الشاويش: مريض! ... لا يمكن!

لوزة: لماذا يا شاويش؟

الشاويش: لأنني ... لأنني ... المهم أُريد أن أراه ...

وتقدَّم الشاويش من الكوخ، و«لوزة» تتبعه ومعها «زنجر»، وكان الأصدقاء قد أحضروا منديلًا مبلولًا بالماء ووضعوه على رأس «تختخ»، على حين ذهب «عاطف» وأحضر له بعض الأسبرين وكوبًا من الليمون.

ما إن دخل الشاويش حتى أخذ «تختخ» يتأوَّه ... ووقف الشاويش متردِّدًا لحظات، ثم قال: هل ... هل أنت مريض فعلًا؟

ردَّت «نوسة»: ماذا تعني يا حضرة الشاويش؟

أحسَّ الشاويش بالحرج فقال: أقصد لماذا لم يذهب إلى الطبيب؟

قالت «نوسة»: لقد رآه الطبيب منذ ساعة، ونصح بأن يرتاح ويأخذ أسبرين؛ فهي نزلة برد عادية.

الشاويش: منذ ساعة.

نوسة: نعم ... لماذا؟

قال الشاويش بغضب: لأنني ... لأنني ... ولكن!

عاطف: اسمع يا حضرة الشاويش ... هل ممنوع أن يمرض الإنسان؟ ... هل هذا ضد القانون مثلًا؟ ما هي الحكاية بالضبط؟

انفجر الشاويش صائحًا: إنني الذي أُريد أن أعرف ما الحكاية بالضبط؟ ... لقد حبسني شخص في «جزيرة الذهب» منذ ساعة ... وتركني هناك ... ولولا مرور قارب صيد لبقيت هناك طول الليل!

عاطف: وما دخلنا نحن في هذا؟ يبدو يا شاويش أنك ستُلصق بنا كل جريمة تحدث في «المعادي» ... ولن يبقى أمامنا إلا أن نشكو إلى رؤسائك هذا الاضطهاد.

سكت الشاويش وأخذ يُحرِّك عينَيه في الغرفة ... كان يُريد أن يبحث عن أي شيءٍ يُؤكِّد شكوكه في «تختخ»، ولكن لم يكن في الغرفة شيء ... ولو فكَّر الشاويش قليلًا ودخل دورة المياه الملحقة بالكوخ لعرف كل شيء ... ولكن الكلب الأسود لم يترك له فرصة التفكير ... فقد كان يزمجر طول الوقت ... وكانت «لوزة» على استعداد لإطلاقه لو أن الشاويش فكَّر في الحركة. وهكذا لم يجِد الشاويش أمامه إلا أن يستدير وينصرف وهو يُتمتم أنه سينتقم يومًا منهم جميعًا ...

لم يكد الشاويش يخرج حتى قفز «تختخ» قائلًا: إنني أُريد زيارة «الدهل» فورًا.

محب: «الدهل»؟! وأين هو الآن؟

تختخ: لا أدري ... ولكن سأُجرِّب الذهاب إلى منزله في «الزمالك».

محب: في ملابسك العادية؟

تختخ: لا ... بملابسي التنكُّرية، وسأرتديها الآن، ثم أمر بمنزلي لاستكمال التنكُّر.

محب: وكيف تذهب وحدك، لا بد أن نذهب معك، نحن لا ندري ماذا يحدث؟

فكَّر «تختخ» لحظات، ثم قال: لا داعي لذلك الآن، كل ما هنالك أنني أُريد الحديث معه، فإذا حدث شيء فسوف أتصل بكم تليفونيًّا.

وانصرف «تختخ» مسرعًا، ومرَّ بمنزله فاستكمل تنكُّره، ثم اتخذ طريقه إلى «الزمالك»، ووصلها وقد هبط الظلام على المدينة، ولمعت الأنوار في الحي الأنيق، وأخذ «تختخ» يسأل عن الشارع حتى وصل إلى العمارة ... وتقدَّم ليدخل، ولكن البوَّاب لم يُعجبه شكله في ثيابه البالية فصاح به: إلى أين أنت ذاهب؟!

ردَّ «تختخ»: شقة الأستاذ «فتحي الدهشان».

البوَّاب: إنه ليس موجودًا الآن، لماذا تسأل عنه؟

تختخ: إنه صديقي ... أقصد أنه يعرفني.

البوَّاب: وما هو اسمك؟

تختخ: «طباظة».

كان «تختخ» يُحدِّث البوَّاب وعيناه تتجوَّلان في مدخل العمارة، ولاحظ على الفور أن غرفة البوَّاب مضاءة، وثمَّة حركة بداخلها، وأدرك «تختخ» أن هناك من يُراقب السائلين عن «الدهل»؛ الشرطة، أو أي أشخاص آخرين.

وخرج «تختخ»، وبينما هو ينزل السلَّم أحسَّ بأقدام خلفه، وأدرك أنه متبوع وأنه معرَّض للمتاعب. تمالك أعصابه وسار بهدوء متجهًا إلى النيل ... وتظاهر وهو سائر بأنه يلتقط شيئًا من الأرض ونظر خلفه، وكان ثمَّة شخصان يتبعانه ... ورجَّح من شكلهما أنهما من رجال الشرطة، ولكن المفاجأة الأكبر كانت في انتظاره بعد خطوات قليلة؛ كانت سيارة الشرطة وبداخلها النقيب «مجدي».

مرَّ «تختخ» بالسيارة وانحرف عند أقرب ناصية وأعاد النظر ناحيتها، كان أحد الرجلَين يتحدَّث إلى النقيب «مجدي» والآخر يتبعه ... وكان بينه وبين من يتبعه نحو عشرة أمتار. وانتهز الفرصة وأطلق ساقَيه للريح جاريًا بأقصى ما يستطيع ... ووجد نفسه قريبًا من الكورنيش فتجاوزه، وقفز السور، ووجد نفسه قرب كوبري «الزمالك» ... وسار مسرعًا حتى مرَّ تحته، ثم صعد مرةً أخرى إلى الكورنيش، ووجد نفسه أمام فيلا «أم كُلثوم» ... فانحرف في اتجاه شارع «٢٦ يوليو» مرةً أخرى ... كانت هنالك سيارة «ميكروباس» واقفة في الإشارة، وبالصدفة كان باب الصعود الخلفي مفتوحًا فقفز فيها، ودفع قرشَين، ثم جلس. وكان قلبه يدق بسرعة، وأخذ ينظر من الزجاج، وشاهد أحد الرجلَين يمر بجوار «الميكروباس» فأحنى رأسه حتى لا يراه، وانطلقت السيارة. ودخلت شارع «٢٦ يوليو»، ثم انحرفت داخل «الزمالك» في خط سيرها المعتاد داخل منطقة الجزيرة. وكم كانت دهشته عندما وجد نفسه مرةً أخرى عند سيارة الشرطة، وشاهد النقيب «مجدي» يتحدَّث في جهاز اللاسلكي!

أحنى رأسه مرةً أخرى عندما وقفت السيارة بأول محطة داخل «الزمالك»، ثم عاد إلى جِلسته العادية عندما سارت السيارة ... كانت عشرات الخواطر تدور برأسه، وكان يُحس أن الأحداث تتطوَّر بسرعة ... الشخصان اللذان حضرا إلى «الدهل» في «المعادي»، ثم الرقابة التي تفرضها الشرطة على منزله ... وسيارة اللاسلكي ... والنقيب «مجدي»، ولو كان المفتش «سامي» موجودًا لاستطاع الاتصال به ومعرفة ما يحدث ... ولكن الآن ليس له إلا الاعتماد على نفسه وعلى الحظ!

كان «الميكروباس» يمضي داخل منطقة الجزيرة، ثم وصل أمام فندق «البرج»، ومرَّ بكوبري التحرير ... ووصل إلى ميدان التحرير. وكان «تختخ» قد قرَّر العودة إلى «المعادي»، ولكن فجأةً تذكَّر المعلومات التي سمعها من المفتش عن الأماكن التي يتردَّد عليها «الدهل»؛

باب الشعرية، السيدة زينب، الحسين، فلماذا لا يُجرِّب حظه ويذهب إلى هذه الأماكن … لعله يعثر على «الدهل».

كان قريبا من السيدة زينب، فنزل من «الميكروباس» وركب الترام. وبعد قليل كان في ميدان السيدة المزدحم، وأخذ يسير أمام المقاهي المنتشرة في الميدان، ينظر أمامها باحثًا عن سيارة «الدهل»، ويبحث داخلها عن «الدهل» نفسه، ولكن بعد أن قضى نحو ساعة في البحث لم يعثر لا على السيارة ولا على «الدهل».

ولم ييأس «تختخ»، فقرَّر أن يزور منطقة الحسين؛ فالساعة لم تكن قد تجاوزت التاسعة ليلًا … وركب الترام، ونزل في العتبة، ثم سار على قدمَيه في شارع الأزهر. وفجأةً كافأته الأقدار على إصراره؛ فبينما هو يسير وقد اقترب من منطقة وسط الأزهر المزدحمة وجد سيارة «الدهل» تقف بجوار الرصيف. ولم يكن «الدهل» فيها، ولكن من المؤكَّد — كما قال «تختخ» في نفسه — أنه في مكان قريب. كان هناك مقهًى صغير قريب أسرع إليه «تختخ» وقد توقَّع أن يجد «الدهل» فيه، ولكن لم يكن هناك. وجلس «تختخ» يُراقب السيارة من على المقهى بعد أن طلب كوبًا من الشاي. وأخذ يُفكِّر فيما يجب أن يفعله، وكان ما يُهمه أن يعلمه أولًا: هل «الدهل» مراقَب أم لا؟ واستنتج أن وجود رجال الشرطة قرب بيت «الدهل» معناه أنهم فقدوا أثره هذا اليوم. ولعلهم الآن يبحثون عن سيارته في شوارع «القاهرة». ولكن هل «الدهل» مراقَب من أشخاص آخرين غير رجال الشرطة؟ فمثلًا هذان الشخصان اللذان رآهما الأصدقاء يتحدَّثان إلى «الدهل» عند كورنيش «المعادي»، ومن هما؟ وهل هما وحدهما أو يتبعان جهةً مُعيَّنة؟

أسئلة كثيرة … والوحيد الذي يمكنه الإجابة هو «الدهل». كان بجوار المقهى محل لبيع الحلويات والسجائر وبه تليفون، وقرَّر «تختخ» أن يتصل بالأصدقاء لعل شيئًا قد حدث … وقام إلى التليفون، ورمقه صاحب المحل بنظرة ارتياب وهو يُشاهد ثيابه البالية، ولكن «تختخ» لم يهتمَّ وأدار وجهه حتى لا يسمعه أحد، وردَّ «عاطف» وقال بلهفة: أين أنت؟

تختخ: هل حدث شيء؟

عاطف: نعم … من دقائق حضر الشاويش ومعه النقيب «مجدي»، وسألا عليك، وفهمنا من النقيب «مجدي» أن الشاويش كتب له تقريرًا عن مصاحبتك أنت و«لوزة» في ثياب الصيادين طبعًا لـ «الدهل»، ثم اتصل به وأخبره بما حدث عندما طاردكما في النيل … ويبدو أن الشاويش أصبح شبه متأكِّد من أن الولد الصياد هو أنت.

تختخ: وماذا قلتم لهما؟

عاطف: عندما سألا عنك قلتُ إنكَ مريض طبعًا، وإنكَ ذهبت إلى «القاهرة» للطبيب ... ومن الواضح أنهما لم يُصدِّقا ما قلنا. وقد حاولا استدراج «لوزة» للاعتراف بالحقيقة، ولكن «لوزة» طبعًا أنكرت كل شيء ...

تختخ: عظيم. هل هناك شيء آخر؟

عاطف: نعم ... فهمنا من بعض الحديث الذي دار بين الشاويش والنقيب «مجدي» أن أشخاصًا مجهولين قد دخلوا شقة «الدهل» في «الزمالك» أمس ليلًا وفتشوها، وقد تبعهم رجال الشرطة ولكنهم استطاعوا الفرار.

تختخ: إن الأمور تتطوَّر بسرعة، والأمل كله أن أُقابل «الدهل» وأن يثق بي ويقول لي الحقيقة.

عاطف: وأين أنت الآن؟

تختخ: في شارع الأزهر. لقد عثرتُ على سيارة «الدهل» ولكنه ليس موجودًا بها و...

وقطع «تختخ» حديثه فقد شاهد «الدهل» يتجه إلى السيارة، فقال بسرعة: ابقَ قريبًا من التليفون! ثم وضع السمَّاعة وأسرع يجري دون أن يدفع ثمن المكالمة. وخرج وراءه صاحب المحل صائحًا، ولكن «تختخ» جرى بكل قوته؛ فقد كانت السيارة تتحرَّك، وفتح باب السيارة وألقى بنفسه داخلها ... ونظر إليه «الدهل» نظرةً كلها دهشة فقال «تختخ»: أسرع!

في مكان غريب

انطلقت السيارة تحمل «الدهل» و«تختخ»، وقال «الدهل»: «طباظة»، ما الذي جاء بك إلى هنا؟ وكيف عثرت عليَّ؟

تختخ: سأقول لكَ كلَّ شيءٍ بعد أن نجد مكانًا نختفي فيه.

الدهل: نختفي؟!

تختخ: نعم … إنك مراقب!

الدهل: وكيف عرفت؟

تختخ: قلتُ لكَ إنني سأُخبرك بكل شيء … ولكن المهم الآن أن نُفلت ممن يُراقبوننا.

الدهل: هل أنتَ متأكِّد؟

تختخ: نعم … وهم في الأغلب ليسوا من رجال الشرطة.

الدهل: وكيف عرفت؟

تختخ: لقد تحرَّكت سيارة خلفنا، وكان بها شخصان.

كانت السيارة تشق طريقها بصعوبة وسط الزحام متجهةً إلى «تلال زينهم»، وكان «تختخ» يرقب السيارة المرسيدس السوداء التي كانت تتبعهما جاهدةً ألَّا يُفلتا منها.

قال «تختخ»: أليس هناك مكان يمكن أن نذهب إليه، مكان لا يعرفه أحد؟ لم يردَّ «الدهل» لحظات، ثم قال: هل أستطيع أن أثق بك؟

تختخ: طبعًا … إنني أُحاول إنقاذك.

الدهل: هناك غرفة صغيرة في حي الحسين في منطقة «السكرية» أقضي فيها أغلب الوقت؛ فإنني أُحب الأماكن الشعبية جدًّا.

تختخ: هل قضيتَ بها ليلة أمس؟

الدهل: نعم.

تختخ: إذن فأنت لا تعلم أن شقتك في «الزمالك» تعرَّضت للتفتيش من بعض الرجال، وأن الشرطة طاردتهم ولم تستطِع الوصول إليهم.

الدهل: ليست هذه هي المرة الأولى التي يُفتِّشون فيها شقتي ... إن معهم مفاتيح لها.

تختخ: مفاتيح!

الدهل: نعم ... إنهم أصحاب الشقة الأصليون.

تختخ: شيء غريب!

الدهل: كل شيءٍ أصبح غريبًا في حياتي خلال السنوات الثلاث الأخيرة، حتى أنا لا أُصدِّق ما يحدث حولي.

تختخ: هل تتمكَّن من تضليل هؤلاء الذين يتبعوننا؟

الدهل: طبعًا ... فإنني عِشتُ في هذه المنطقة أكثر سنوات عمري، وأحفظ كل شارع وكل حارة وكل زقاق ومنزل.

تختخ: وماذا تفعل؟

الدهل: سأدخل «تلال زينهم»، وسوف أتمكَّن هناك من تضليلهم.

ومضت السيارة حتى انتهى شارع الأزهر ... وصعدا المرتفع المؤدِّي إلى «تلال زينهم»، ثم أطلق «الدهل» للسيارة العِنان ... ماضيًا بسرعة فائقة داخل مجموعة من الحواري الضيقة والأزقة. وكانت المرسيدس السوداء تتبعهما بسرعة، ولكن بعد بضع لفَّات ضاع أثرها، وقال «تختخ»: عُد الآن سريعًا إلى «السكرية».

الدهل: سنلف عن طريق صلاح سالم ... ثم نعود.

تختخ: سنترك السيارة في أول التلال هنا، ثم ننزل لنأخذ تاكسيًا.

وتمَّ ما أراده «تختخ»، وترك «الدهل» السيارة في مكان مظلم، ثم نزلا وركبا تاكسيًا إلى ميدان الحسين، ثم دخلا حارةً ضيقة، انتهت ببضع سلالم صعداها، ثم سارا فوق تل انتثرت عليه مجموعة من المنازل الصغيرة، ومرَّا بسلالم أخرى، ثم زقاق صغير، ثم مقهًى صغير جدًّا محاط بأشجار اللبلاب المتسلِّق، ثم انحرفا يسارًا. ووجد «تختخ» نفسه أمام مبنًى قديم صغير، دخلاه، وأخرج «الدهل» مفتاحًا من جيبه فتح باب أحد الأبواب ودخلا، وأغلق «الدهل» الباب خلفهما.

قال تختخ: إنها منطقة غريبة لم أرَها في حياتي!

الدهل: إن أكثر سُكَّانها من المهرِّبين واللصوص والهاربين من القانون، ويصعب على الشرطة الوصول إليهم في بعض الأحيان؛ فالحواري والأزقة التي مررنا بها مراقبة

بأشخاص يُسمُّونهم «الناضورجية»، و«الناضورجي» عمله مراقبة وصول أي شخص غريب، وسرعان ما يصل خبره إلى كل المنطقة، فيختفي من يُريد الاختفاء عن أعين رجال الشرطة …

تختخ: ولماذا اخترتَ هذا المكان؟

الدهل: كان هذا هو الحلَّ الوحيد للهروب من مراقبة رجال الشرطة لي ومضايقاتهم؛ فإن لي ماضيًا معهم.

تختخ: إذن فأنتَ تعرف أنكَ مراقب؟

الدهل: طبعًا. لقد عرفتُ ذلك من بعض الملاحظات والأحاديث التي سمعتُها من بوابي العمارة.

كانت الغرفة مفروشةً بفرش بسيط وقديم، ولكنه نظيف، وجلس «الدهل» يبتسم … فقال «تختخ»: إنني أُريد أن أسألك أولًا: لماذا تبتسم أو تضحك باستمرار؟ ضحك «الدهل» وقال: وهل هذه مسألة تُهمُّك جدًّا؟

تختخ: نعم … فذلك شيء غريب بالنسبة لرجل يُطارده رجال الشرطة، وغير رجال الشرطة.

الدهل: إنكَ تعرف أشياء كثيرة!

تختخ: أكثر ممَّا تتصوَّر. والآن لماذا تبتسم؟

الدهل: أبتسم لأنني قلتُ الحقيقة فدخلت السجن، ثم يدفع لي بعض الناس ألوف الجنيهات كي أكذب.

تختخ: إن هذا لغز.

«الدهل» مبتسمًا: هذه هي الحقيقة، وتستطيع أن تُصدِّقها أو لا تُصدِّقها. إنني رجل بسيط عِشتُ حياتي كلها أُكافح من أجل القروش … ثم هبطتْ عليَّ الثروة دون عمل.

أدرك «تختخ» أن «الدهل» يقول الحقيقة … فقد كانت نبراته صادقة … وملامح وجهه وحركات يدَيه كلها تُؤكِّد أنه لا يكذب.

قال «تختخ»: إذن قد هبطت عليك الثروة؟

الدهل: نعم.

تختخ: من الحقيبة؟

الدهل: نعم من الحقيبة.

وخفق قلب «تختخ» خفقانًا شديدًا ... لقد اعترف «الدهل»، وهو الآن قريب جدًّا من حلِّ اللغز ومن الحقيبة. وفجأةً قال «الدهل»: إنكَ تستدرجني في الحديث دون أن تقول لي من أنت؟ هل أنت من رجال الشرطة ... أو من رجال السفارة؟

ذُهل «تختخ» عندما سمع كلمة السفارة وقال: سفارة! ... أية سفارة؟

الدهل: إذن أنت تتبع الشرطة؟

صمت «تختخ» ... إنه ليس من الشرطة، ولكنه يُساعدها. ولعل «الدهل» لو عرف الحقيقة سوف يصمت ولن يقول له المزيد، وعاد «الدهل» يقول: إذا كنتَ من الشرطة فإنني أستطيع ألَّا أدعك تخرج حيًّا من هذا المكان ... وإن كنتُ غير ميَّال للعنف، ولكني مظلوم، ويكفيني ظلمًا حتى الآن.

ساد الصمت الغرفة، وقام «الدهل» إلى مائدة صغيرة موضوعة بجوار الحائط عليها بعض الأدوات، وأخذ يُعد الشاي. وكانت عينا «تختخ» تتجوَّلان في المكان بحثًا عن مكان الحقيبة. أين هي؟ هل هي في هذه الغرفة ... أو يضعها عند أحد أصدقائه في هذا المكان المظلم العجيب الذي لا يستطيع اقتحامه حتى رجال الشرطة؟

ورأى بابًا صغيرًا في أحد أركان الغرفة. أدرك أنه باب دورة المياه. وقام واقفًا وقال: أستأذنك في دخول دورة المياه.

ردَّ «الدهل» وهو مشغول بإعداد الشاي: تفضل.

ودخل «تختخ» وأضاء النور، لم يكن هناك مكان يمكن أن تختفي فيه الحقيبة، ولم يكن هناك منفذ منها إلى الخارج.

عندما عاد «تختخ» إلى الغرفة كان «الدهل» قد انتهى من إعداد الشاي، ووضع كوب «تختخ» أمامه، وأخذ يرشف من كوبه في تلذُّذ واضح.

كان ذهن «تختخ» يعمل بسرعة ... إن الحل الوحيد لهذا الموقف هو كسب ثقة «الدهل»، وأحسن طريقة لكسب هذه الثقة هي أن يقول له الحقيقة، حقيقة تنكُّره ... وحقيقة «المغامرين الخمسة» ومدى صلتهم برجال الشرطة.

قال «تختخ» وهو يرشف كوب الشاي: إنك تُريد أن تعرف حقيقتي. سأقول لكَ كل شيء، وإنني أُصدِّقك وسأُصدِّقك في كل ما تقول، وأرجو أن تُصدِّقني في كل ما أقول.

ردَّ «الدهل» في هدوء: لقد أحببتكَ عندما رأيتكَ أنت وشقيقتك الصغيرة «وردة»، وأنا على استعدادٍ لمساعدتكما دائمًا فعندي أموال كثيرة.

قال «تختخ»: للأسف نحن قد خدعناك؛ فليست «وردة» أختي ... ولستُ في حاجة إلى مساعدة.

نظر «الدهل» إلى «تختخ» مذهولًا، فمضى «تختخ» في حديثه ... إن «وردة» اسمها الحقيقي «لوزة»، وأنا اسمي الأصلي «توفيق»، وهي صديقة لي ضمن مجموعة من الأصدقاء نُسمِّي أنفسنا «المغامرين الخمسة». ونحن نعمل من أجل تحقيق العدالة ورفع الظلم عن المظلومين، وقد اشتركنا في مغامرات كثيرة.

قال «الدهل» وهو لا يكاد يُصدِّق ما يسمع: وتقومون بهذا وحدكم؟!

تختخ: لا ... ولكن بمساعدة مفتش المباحث الجنائية «سامي»، وهو رجل ذكي وممتاز وطيب، ولو كان موجودًا الآن لأخذتك إليه، ولكنت متأكِّدًا أنه سيستمع لكَ ويُصدِّقك.

وسكت «تختخ» لحظات، ثم مضى يقول: وعن طريق المفتش «سامي» عرفنا حكايتك لأول مرة، ولستُ أدري لماذا أحسست أن في هذه الحكاية أسرارًا لم تُعرف بعد.

ومضى «تختخ» يشرح لـ «الدهل» كل المعلومات التي عرفها عنه، وكيف تنكَّر هو و«لوزة» ليتعرَّف به. ومغامرته مع الشاويش «علي» حتى انتهت إلى مقابلته الأخيرة له في شارع الأزهر.

واختتم «تختخ» حديثه قائلًا: وأنت الآن حرٌّ في أن تُصدِّقني أو لا تُصدِّقني، فإذا صدَّقتني فسوف أمضي معك حتى كشف الحقيقة مهما كانت. وإذا لم تُصدِّقني فسوف أُغادرك الآن، وأعدك ألَّا أُخبر أحدًا بمكانك، ولا بما سمعتُه منكَ إلا عند عودة المفتش «سامي»؛ فإنني لا أُخفي عنه شيئًا.

انتهى «الدهل» من شرب كوب الشاي، ثم قام فغسله. وأخذ كوب شاي «تختخ» الذي انتهى منه وغسله أيضًا ... كان واضحًا أنه يأخذ مهلةً للتفكير. ثم جلس وضمَّ ذراعَيه إلى صدره، ونظر إلى «تختخ» طويلًا، ثم قال: هل تعرف لماذا يُسمِّيني الناس «الدهل»؟

ردَّ «تختخ» في خجل: الحقيقة لا أعرف.

الدهل: لأني رجل بسيط جدًّا. أقول الحق، وأقول الحقيقة، وأبسط يدي إلى الناس.

تختخ: إن الناس لم يفهموك ... ولكن لا تدَع هذا يُغيِّر من طبيعتك. إن الصفات التي تتحلَّى بها هي صفات الإنسان الطيب الكريم.

الدهل: إني أُصدِّقك، وسأقول لكَ قصتي كاملة، القصة التي رويتُها لكل الناس ولكن أحدًا لم يُصدِّقني.

تختخ: إني أُصدِّقك.

الدهل: أظنني قلتُ لكَ عن سبب حضوري إلى «القاهرة»، وكيف انتهي بي المطاف لأعمل مناديًا للسيارات عند السفارة؟

تختخ: نعم.

الدهل: أختصر حديثي إذن عن حكاية «الحقيبة الدبلوماسية». هذه الحقيبة التي دخلتُ بسببها السجن، وبسببها أيضًا أملك كل هذه النقود ... وسكت «الدهل» لحظات، ثم مضى يقول: في إحدى الليالي منذ ثلاث سنوات تقريبًا أقامت السفارة حفلًا ساهرًا وكنتُ مشغولًا جدًّا بإرشاد السيارات إلى أماكنها، حتى ازدحم ما أمام السفارة بالسيارات، واضطُررت إلى إيقاف السيارات في الشوارع الجانبية. وحضر المستر «ماكس» يركب سيارته. وأنا أعرف مستر «ماكس» منذ فترة طويلة. وقد كان دائمًا كريمًا معي. وفي الشهور الأخيرة كان يُعطيني مفاتيح سيارته لأركنها له ... فقد كان دائمًا مستعجلًا ... وعلى سفر ...

وانتبه «تختخ» تمامًا ... ومضى «الدهل» يقول: حضر «ماكس» وترك سيارته أمام السفارة وأعطاني المفاتيح كالمعتاد، وطلب مني أن أضع السيارة في الشارع الجانبي ... وأن أنتظر أمام السفارة ومعي المفاتيح لأدله على مكان السيارة. وركبتُ السيارة وذهبتُ بها بعيدًا، عند آخر الشارع الجانبي ...

وهرش «الدهل» رأسه، ثم قال: إني أحكي لكَ تفاصيل لم أقلها لأحدٍ لسبب بسيط ... فعندما ضربني اللص على رأسي بالمسدس، وبعد أن سقطَت السيارة في النيل وصارعتُ الأمواج حتى لا أموت غريقًا، كل ذلك أثَّر على ذاكرتي في تلك الفترة، حتى إنني ارتكبتُ كثيرًا من الأخطاء وأنا أروي معلوماتي للشرطة ... نعم ... كنتُ لا أعي تمامًا ... أذكر أشياء وأنسى أشياء ... ولعلَّ هذا كان سببًا في عدم اقتناع المحكمة ببراءتي ...

وسكت «الدهل» ثواني قليلة، ثم عاد للحديث: عندما كنت أوقف السيارة، لاحظتُ أن النور انطفأ فجأةً في الشارع الجانبي ... ثم أحسستُ بشخصَين يقتحمان السيارة ...

كلمة واحدة

كان «تختخ» يستمع وهو يُرتِّب الحوادث بشكلٍ دقيق في ذهنه؛ فأمامه فرصة ذهبية قد لا تتكرَّر لحلِّ لغز الحقيبة ... ومضى «الدهل» يقول: وأحسستُ بفُوَّهة المسدس تلتصق برقبتي، وبصوتٍ آمر يقول: انطلق فورًا! وكانت السيارة دائرة، فدست على البنزين وانطلقتُ بالسيارة، وطلب مني الشخص نفسه أن أتجه إلى طريق الإسكندرية الصحراوي، وعندما وصلتُ إلى هناك، نزل أحدهما وأبدل الأرقام الدبلوماسية للسيارة بأرقام أخرى، ثم طلب مني العودة إلى طريق الفيوم، ومرةً أخرى توقَّفنا، ثم نزل الرجل وأبدل أرقام السيارة للمرة الثانية.

تختخ: وهل تمَّ ذلك بسرعة؟

الدهل: بسرعة جدًّا. في ثوانٍ قليلة؛ فقد كان معهما أدوات كاملة للعملية، وإلا ما استطاعا فكَّ المسامير وتركيب الأرقام بهذه السرعة.

تختخ: ثم ماذا؟

الدهل: ثم طلبا مني الاتجاه إلى كورنيش «المعادي». وذهبنا إلى هناك، وغادرنا «المعادي» وأصبحنا في الطريق إلى حلوان، حيث طلبا مني الوقوف للمرة الثالثة، وتوقَّعتُ أنهما سيستبدلان أرقام السيارة للمرة الثالثة، ولكنهما في هذه المرة لم يفعلا ذلك.

وتحسَّس «الدهل» رأسه، ثم قال: ولكنهما لم يستبدلا الأرقام هذه المرة، بل أحسستُ فجأةً وأنا أجلس أمام عجلة القيادة بضربةٍ قاسية تنزل على رأسي. ولم أدرِ بعد ذلك إلا والماء البارد يغمرني، وأنني أنزل إلى قرار سحيق، وأخذتُ أُجاهد حتى وجدتُ نفسي أعوم في اتجاه الشاطئ، وأصوات كثيرة تصيح، وضجة، ثم قبض عليَّ رجال الشرطة.

تختخ: ولكن في التحقيق قلتَ إنكم ذهبتُم إلى طريق الإسكندرية الزراعي.

الدهل: كما قلتُ لكَ إن الضربة التي أصابتني، وحادث السيارة أثَّرا على ذاكرتي؛ فارتكبت بعض الأخطاء في حديثي، بل تضاربت أقوالي.

تختخ: والنقود التي وجدوها في جيبك، والشفرة السرية للحقيبة.

الدهل: أُقسم لك إنني لا أعرف كيف دخلت هذه النقود جيبي ... ولا هذه الشفرة التي يقولون عنها.

تختخ: ألم يتحدَّثا مطلقًا وأنتَ تركب معهما؟

الدهل: كانا يتحدَّثان بالإنجليزية.

تختخ: كيف عرفت؟

الدهل: إني أشتغل في موقف السفارة منذ سنوات طويلة، وقد تعلَّمت بعض الكلمات.

وابتسم «الدهل» وهو يقول: أعرف money بمعنى نقود ... أعرف Tip بمعنى بقشيش. أعرف Food بمعنى طعام. أعرف gold بمعنى ذهب. أعرف Car بمعنى سيارة. أعرف Come on بمعنى تعالَ ... وكلمات أخرى.

تختخ: ألم تفهم من حديثهما بعض الكلام؟

الدهل: لا ... ولكني سمعتُ كلمة gold تتكرَّر بضع مرات.

تختخ: ذهب.

الدهل: نعم ... إن الحقيبة محشوة بالذهب، لا بالنقود. وهذا ما استنتجته من حديث الرجلَين.

سرح «تختخ» لحظات، ثم قال: وأنتَ تبيع من هذا الذهب الآن؟

الدهل: ذهب، أبيع، أبدًا. إني لم أرَ الحقيبة حتى الآن.

ذُهل «تختخ» وهو يسمع هذا الكلام وقال: ألم تقل لي منذ دقائق إن الثروة هبطت عليكَ من الحقيبة؟

الدهل: لقد فهمتني غلطًا؛ فلستُ أقصد أنها ممَّا كان في الحقيبة، ولكن بسبب الحقيبة؛ فعندما دخلتُ السجن وجدتُ أشخاصًا لا أعرفهم يُرسلون لي نقودًا وطعامًا كل أسبوع ... وعندما خرجتُ من السجن وجدتهم قد استأجروا لي شقةً في «الزمالك»، وأعطوني سيارة ... وملئوا جيبي بالنقود!

تختخ: لماذا؟

الدهل: لأنهم يتصوَّرون أنني أعرف مكان الحقيبة ... لأنني الرجل الوحيد الباقي من الثلاثة الذين كانوا في السيارة.

تختخ: وهكذا ظنَّ رجال الشرطة أنكَ استخرجتَ الحقيبة من مخبئها ... وبدأتَ تُنفق ممَّا فيها.

الدهل: فعلًا.

تختخ: ولماذا لم تقُل لرجال الشرطة هذه الحقيقة؟

الدهل: لأنهم لم يسألوني. إنهم يراقبونني فقط، وفي الوقت نفسه قد وعدت هؤلاء الأشخاص ألَّا أُخبر أحدًا بصلتهم بي.

وسكت «الدهل» لحظات، ثم قال: لقد عوقبتُ من أجل جريمة لم أرتكبها، ومن حقي الآن أن أُعوِّض الظلم الذي وقع عليَّ.

تختخ: ولكنكَ قلتَ إنكَ لا تعرف مكان الحقيبة. ألم تقل لهؤلاء الرجال هذه الحقيقة؟

الدهل: قلت لهم، ولكن لا أحد يُصدِّقني. وهم أحرار في أن يُنفقوا نقودهم بالطريقة التي تحلو لهم.

ساد الصمت الغرفة بعد هذا الحديث ... وأحسَّ «تختخ» بالأسف ... إن كل ما فعله لم يُؤدِّ إلى شيء؛ فلا هو عرف مكان الحقيبة، ولا هو يستطيع إثبات براءة «الدهل» فلن يُصدِّقه أحد.

ووقف «تختخ» قائلًا: لقد تأخَّر الوقت، وأشكرك كثيرًا على ثقتك بي ... ولكن ما هي خطتك القادمة؟

ابتسم «الدهل» قائلًا: لست أدري ... فأنا أتجوَّل بالسيارة في الأماكن التي مررتُ بها ليلة الحادثة لعلَّني أتذكَّر شيئًا نسيتُه يدلني على مكانها. و«ماكس» يدفع لي. ورجال السفارة الأخرى يدفعون لي، وكلٌّ منهم يرجو أن أدله على مكان الحقيبة ...

قال «تختخ»: تقول «ماكس»؟

الدهل: نعم ... «ماكس» صاحب الحقيبة ... إنه مهتم بالحقيبة أكثر من أي شخص آخر ...

قال «تختخ»: حقيبة ذهب ... إن الحقائب الدبلوماسية لا تُستخدم لنقل الذهب. إنها عملية تهريب يقوم بها «ماكس» عن طريق «الحقيبة الدبلوماسية»، ولكنه كي يُخفي الحقيقة قال إنها نقود عملة أجنبية خاصة بالسفارة.

وأخذ «تختخ» يدور في الغرفة الصغيرة وأفكاره تدور معه ... إن جريمة السرقة مدبَّرة بمهارة ... إطفاء النور في الشارع الجانبي ... إعداد الأرقام المزيفة ... التمويه على

من يُتابع السيارة بتغيير الأرقام، والذهاب إلى أكثر من مكان. ولكن من الذي يمكنه أن يعلم أهمية ما في السيارة، ويعلم أنها ستكون في الشارع الجانبي؟

ضرب «تختخ» رأسه بيده وقال لـ «الدهل»: هل طلب منك «ماكس» أن تضع السيارة في الشارع الجانبي، أو فعلتَ أنتَ ذلك من تلقاء نفسك؟

الدهل: هو الذي طلب مني هذا ... بل طلب أن أوقف السيارة عند طرف الشارع.

قال «تختخ»: اسمع. إن «ماكس» هو الذي دبَّر هذه العملية كلها.

الدهل: كيف ذلك؟! لقد قلتَ الآن إنه يقوم بتهريب الذهب إلى الخارج، فكيف يسرق نفسه؟! ... وكيف يعرض أمره للافتضاح لو نجح رجال الشرطة في العثور على الحقيبة؟

ابتسم «تختخ» لأول مرة وقال لـ «الدهل»: معك حق. لقد بدأتُ أنا أيضًا «أُلخبط»، مثلما «لخبطت» أنت، ولكنني أُحس بشيء ما. لا بد أن هناك كلماتٍ أخرى سمعتَها وأنتَ في السيارة، حاول أن تتذكَّر.

قال «الدهل» وهو يدلك جبهته: نعم هناك كلمات أخرى ... ولكنني لا أذكرها بالضبط.

قال «تختخ»: حاول أن تتذكَّر ...

الدهل: ربما سمعتُ كلمة Coat.

تختخ: تعني معطف ... ولكن هذا لا يدل على شيء في الموضوع ...

الدهل: ربما ليست Coat ... ربما goat ... أو Boat.

تختخ: نعم هذا يعني شيئًا أكثر ... Boat بمعنى قارب!

تختخ: ألم تسمع كلمة Island.

الدهل: نعم ... نعم ... سمعتها ... ماذا تعني هذه؟

أمسك «تختخ» بذراع «الدهل» وصاح: هل أنت متأكِّد من سماعها؟!

الدهل: نعم ... كانوا يقولون هذه الكلمة مع كلمة gold.

قفز «تختخ» قائلًا: الآن كل شيء واضح ... لقد عرفتُ كلَّ شيء ... عرفتُ مكان الحقيبة ...

الدهل: كيف؟

تختخ: أين كنتم بالضبط عندما توقَّفتم بالسيارة قبل أن يضربك الرجل على رأسك؟

قال «الدهل»: كنا على الكورنيش في محاذاة «جزيرة الذهب».

«تختخ» صائحًا: هكذا ... «جزيرة الذهب» ... إنهما لم يكونا يتحدَّثان عن حقيبة الذهب، بل عن جزيرة الذهب ... إن الحقيبة هناك ... هيا بنا فورًا ...

الدهل: إلى أين؟

تختخ: إلى «جزيرة الذهب» ...

الدهل: في هذا الظلام؟

تختخ: وهل تظن أننا نذهب في وضح النهار؟! ... سنذهب الآن ... وسأُحدِّث أصدقائي تليفونيًّا ليُعدوا لنا ما نحتاج إليه للبحث ... هيا!

ونزلا مسرعَين، وقال «تختخ»: سنسير في الحواري حتى لا يرانا أحد ...

الدهل: ألن نأخذ السيارة؟

تختخ: لا طبعًا ... سنركب تاكسيا، هل معك نقود تكفي؟

الدهل: طبعًا ... معي كثير من النقود.

وعند أول تليفون وقف «تختخ» وطلب «عاطف»، الذي ردَّ فورًا فقال «تختخ»: آسف لإزعاجك.

عاطف: لقد أخذتُ التليفون معي إلى غرفتي، و«محب» معي أيضًا.

تختخ: عظيم جدًّا ... أُريدكما أن تذهبا فورًا إلى الكورنيش. خذا القارب وقِفا عند الكورنيش في محاذاة «جزيرة الذهب» ... خُذا معكما فأسَين من حديقتكم، وبطاريات للإضاءة.

عاطف: متى تصل؟

تختخ: سأصل بعد نصف ساعة تقريبًا، فلا تتأخَّرا.

وقفز «تختخ» و«الدهل» في تاكسي وطلبا منه الاتجاه فورًا إلى «المعادي» ... وطارت السيارة بهما ... كانت الفكرة التي هبطت على «تختخ» كأنها هبطت من السماء، ولكن الشيء الذي كان يُقلقه هو مكان الحقيبة ... فـ «جزيرة الذهب» كبيرة ... وليس من السهل البحث فيها وبخاصةٍ في هذا الظلام ... وبعد مرور أكثر من ثلاث سنوات على دفنها ... ولم يكن أمام «تختخ» إلا أن يعتمد على حظه ... وعلى إلهامه ...

ووصلا إلى الكورنيش ... ثم إلى محاذاة «جزيرة الذهب» ... ووجدا «محب» و«عاطف» في انتظارهما ... فقفز الأربعة إلى القارب ... وسرعان ما كان ينطلق بهم في الظلام إلى الجزيرة.

قال «تختخ»: أُريد أن نتجه في خطٍّ مستقيم ... إنني أُريد من كل واحد منكم أن يتخيَّل نفسه ومعه حقيبة يُريد أن يُخفيها سريعًا ... في أقرب مكان.

محب: لا بد أن تكون هناك علامة بارزة ... حتى يمكن العودة إليها ومعرفة مكان الحقيبة ... مثلًا ... جذع شجرة قديم ... صخرة.

تختخ: إنك رائع يا محب ... هذا تصوُّر يدل على ذكائك.

وكأنما هبط الوحي على «الدهل» فأخذ يُتمتم: إنني أتذكَّر الآن كلمات إنجليزيةً أخرى، نعم أتذكَّر.

تختخ: Tree بمعنى شجرة؟

الدهل: نعم!

وزادت حرارة التجديف ... واقتربوا من «جزيرة الذهب» ... ثم ارتطم القارب بالشاطئ ... وصعدوا إلى الجزيرة. كانت ليلةً مظلمة، فأضاء «محب» و«عاطف» بطاريتَيهما ... وعلى الضوأين الرفيعَين أخذا ينظران هنا وهناك ... وفجأةً أشار «الدهل» إلى جذع شجرة على بُعد بضعة أمتار، وأسرعوا إليه ... وبدأ «تختخ» و«محب» يحفران بالفأس ... ومضت فترة، ولكن شيئًا لم يظهر.

قال «عاطف»: استمرَّا أنتما في الحفر ... وسأبحث عن ...

ولكنه لم يُتم جملته فقد صاح «محب»: انتظر!

وبهدوء أخذ يُزيل الطين برفق ... ثم انحنى على الحفرة، ومدَّ يده، وأخرج حقيبةً صغيرةً بنية اللون ...

صاح «تختخ»: كانت حساباتنا مضبوطة!

وقال «الدهل»: لعلهم يُصدِّقون الآن أنني لم أرَ هذه الحقيبة في حياتي ... وفي تلك اللحظة ارتفع صوت في الظلام يقول: اترك هذه الحقيبة ... إننا نُحيط بكم من كل جانب ... ومسدساتنا جاهزة للإطلاق ... ارفعوا الأيدي!

وارتفعت أيدي الأصدقاء. وأحسَّ «تختخ» بقلبه يعتصر ... لقد تصوَّر أنه كسب المعركة ... ولكنه خسرها في ثانية واحدة ... لقد نسي أن الشاطئ لا بد أن يكون مراقبًا ...

وتقدَّم شخص في الظلام وانتزع الحقيبة من يد «محب» ... وتحرَّك ثلاثة أشباح في الظلام ... ثم حدثت المفاجأة الثانية ... فقد انطلق طَلْق ناري ... وارتفع صوت يقول: لا يتحرَّك أحد! ... إن قوات الشرطة تُحاصر المكان ... ثم سُلِّطت أضواء بطاريات قوية على وجه الأشباح الثلاثة ... وعلى الضوء شاهد الأصدقاء النقيب «مجدي» يتقدَّم ومعه شرطيان يحملان مدفعَين رشاشَين ... وظهر الشاويش «فرقع» أيضًا ...

قال «تختخ»: يا حضرة النقيب ... أنا «توفيق»!

ردَّ النقيب «مجدي»: أعرف ذلك ... وأنتهز الفرصة وأعتذر لكَ عن عدم ثقتي فيك ... لقد حقَّقتَ ما لم يستطِع أحد تحقيقه ... وسأمر عليكم صباحًا لأُخطركم بنتيجة التحقيق ...

تختخ: ونحن في انتظارك …

في صباح اليوم التالي كان الأصدقاء الخمسة ومعهم «الدهل» يجلسون في حديقة منزل «عاطف» عندما ظهر النقيب «مجدي» ومعه الشاويش «فرقع» … وسلَّم عليهم «مجدي» بحرارة قائلًا: يُشرِّفني أن أنقل إليكم شكر الجهات المسئولة … وقد حصلنا على اعترافات من الثلاثة الذين قبضنا عليهم …

قال «تختخ»: هل تسمح لي ببعض الاستنتاجات قبل أن نعرف الافتراضات … أولًا: ليس بالحقيبة نقود ولا ذهب …

مجدي: هذا صحيح.

تختخ: إن بها أوراقًا … غاية في الأهمية بالنسبة للسفارة.

مجدي: وهذا صحيح أيضًا …

تختخ: وجريمة السرقة تمَّت بالاتفاق مع «ماكس».

ابتسم «مجدي» وقال: إنكَ أكثر من رائع.

تختخ: فقد اتفق «ماكس» على أن يبيع أسرار بلاده إلى جواسيس آخرين، واتفق معهم على أن تبدو الحكاية كأن الحقيبة سُرقت بواسطة «الدهل» … وكان في النية قتله بعد وضع النقود في جيبه والشفرة.

هزَّ «مجدي» رأسه في إعجاب قائلًا: صحيح تمامًا …

تختخ: ولكن الأقدار تدخَّلت لإنقاذ هذا الرجل الطيب … فغرقت السيارة ومات اللصان ونجا هو …

مجدي: تمامًا …

تختخ: وبدأ … «ماكس» والجواسيس يدفعون له ليدلهم على مكان الحقيبة.

وهنا تدخَّلت «لوزة» قائلة: ولكن لماذا يدفع «ماكس» والجواسيس؟ … ألم يكونوا يعرفون أين تُدفن الحقيبة؟

قال «مجدي»: لا … لقد اتفق اللصان على خيانة «ماكس» وأخذ الأسرار لهما فقط؛ ليبيعاها بعد ذلك لحسابهما … هل أدركتَ هذه الحقيقة يا «توفيق»؟

تختخ: طبعًا.

مجدي: إنكم أولاد ممتازون … ولكن لماذا لم تتصلوا بي عندما عرفتم هذه الحقائق؟ الحقيقة أنني لم أكن متأكِّدًا من صحة استنتاجاتي حتى آخر لحظة.

تختخ: ما يُهمنا الآن هو إظهار براءة «فتحي الدهشان» أو «الدهل».

مجدي: هذا ما سيتم حالًا … وشكرًا لكم …


هنداوي